مقـامَـــةُ التـَّــوحِيـــد

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾

فيا عجبـــــاً كيف يعصى الإله   أم كيف يجحـــده الجاحد

التوحيد ، هو حق الله على العبيـد ، وهـو أول مـا دعـا إليه الرسل ، وبه كـل كتـاب نـزل ، وهـو أصـل الأصـول ، والطريق للوصول ، وبه عرف المعبـود ، وعمـر الوجـود ، ولأجله أعدت الجنة والنار ، وسل السـيف البتـار ، وقوتـل الكفـــار ، ولإقامتـــه في الأرض دعت الأنبيـــاء ، وعلمت العلمـاء ، وقتـل الشـهداء ، وهـو أول مطلـوب ، وأعظم محبوب ، وهو أشرف المقاصد ، وأعـذب المـوارد ، وأجـل الأعمـال ، وأحسـن الأقـوال ، وهـو أول الأبـواب ، وبدايـة الكتــاب ، وأعظم القضــايا ، وأهم الوصــايا ، وخــير زاد ، يحمله العباد ، ليوم التنـاد ، وهـو قـرة عيـون الموحـدين ، وبهجــة صــدور العابــدين ، وهــو غايــة الآمــال ، وأنبــل الخصـال ، بـل هـو أعظم الكفـارات ، وأرفـع الـدرجات ، وأكـبر الحسـنات ، وهـو منشـور الولايـة ، وتـاج الرعايـة ، والبداية والنهاية ، وهو الإكسير الـذي إذا وضـع على جبـال الخطايا أصبحت تـذوب ، وصـارت حسـنات بعـد أن كـانت من الذنوب .

وعلى هذا حديث ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايــا ثم جئتــني لا تشــرك بي شــيئاً لأتيتــك بقرابهــا مغفرة)) .

وهو الذي هز في طرفة عين قلوب السـحرة . فقـالوا بعزم مـاض : اقض مـا أنت قـاض ، والمـرأة الـتي سـقت الكلب ، فغفر لها الذنب ، كان معها توحيد الرب ، والرجل الـذي قتـل مائـة رجـل ، وذهب إلى القريـة على عجـل ، فأدركه الأجل ، غفر له بالتوحيد عز وجل . والتوحيـد كنـــز

جليل ، في قلب الخليل ، فقال لما شاهد الكرب الثقيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

ولما قال الصدّيق في الغار ، لسيد الأبرار ، لو نظر أحدهما لرآنا ولسمعنا ، قال : ﴿ لاَ تَحْـزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، إنما قال ذلك بلسان الموحد ، وقد سدد بتوفيق الله وأيد .

وما فلق الله البحر للكليم ، إلا لأنه صاحب توحيد عظيم ، ونهج كريم ، ولو وضعت السموات والأرض في كفة الميزان ، ولا إله إلا الله في كفة لكان لها الرجحان ، ولو كانت في حلقة حديد لفصمتها ، وفي صخرة لفجّرتها ، ولا إله إلا الله مفتاح الجنان ، وله أسنان ، من الواجبات والأركان ، وصاحبها لا يخلد في النار ، ولا يلحق بالكفار ، وقد قالوا لأحد العلماء وقد سجن ، وفي سبيل هذه الكلمة ذاق المحن ، قل كلمة التوحيد، قال من أجلها وضعت في الحديد ، وقالوا لأحد الأولياء وقد رفع على خشبة الموت ، وقرب منه الفوت ، قل لا إله إلا الله ولا تغفل ، قال : من أجلها أقتل .

وسمع أحد الصالحين رجلاً يقول لا إله إلا الله ومد بها صوته فبكى وقال :

وإني لتعروني لذكرك

كما انتفض العصور بلله

وسمع أحد العلماء رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، قال : صدقت وبالحق نطقت .

فيا أيها العباد خذوا من التوحيد قطرة ، وضعوه على الفطرة ، وولّوا وجوهكم شطره . ويا من أثقله الهم ، وأحاط به الغم ، وهزه الألم الجم ، **قل لا إله إلا الله** .

ويا من أثقلته الديون ، أو غيبته الشجون ، وبات وهو محزون ، **قل لا إله إلا الله** .

ويا من اشتد به الكرب ، وعلاه الخطب ، اذكر الرب ، **وقل لا إله إلا الله** .

هي أجمل الكلمات ضج الفؤاد وضاقت

اقرأها بعين الـروح ، قبل أن تقرأها بعينك في اللـوح ، واكتبها في ســـــويداء قلبك ، لتحملها إلى ربك ، وتتخلص من ذنبك .

ولما قيل لفرعون ، قل لا إلـه إلا اللـه ، تلعثم الحمـار وتعثر ، فدس أنفه في الطين وتدثر . وقيل لأبي لهب قــل لا إله إلا الله ، قـال الخسـيس ، أبى علي الجليس ، والأخ الرئيس ، إبليس . تقيأ شاعر البعث المخذول ، ليقول :

آمنت بـالبعث ربـاً وبالعروبة دينــاً ما
لا

قلنا يا شاعر البعث ، وعزة ربي ليخزينك يـوم البعث . يا شاعر الخمر والحشيشـة ، قـد أرغم أنفـك أبـو ريشـة ، فقال :

أمــــتي كم صــــنم لم يكن يحمل طهر

من يأخذ تعاليمه من باريس ، حشر مع شيخه إبليس .

يـا مسـكين ، تتعلم حـروف الهجـاء من بكين ، وتهجـر رسالة نزل بها الروح الأمين ، على سـيد المرسـلين ، من رب العالمين .

يرضع الوليد حليب التوحيد ، حــــــــتى يأتيه الحليب الصناعي من مدريد ، ليرتد المريد .

صوت التوحيد يرتفع على كل صـوت ، وقوته خـير من كل قوت ، لخصه أبو بكر فقال : من كان يعبد محمداً فإن محمــداً قد مــات ، ومن كــان يعبد الله فــإن الله حي لا يموت

لــــولا أن كلمة أحد ، في قلب بلال مثل جبل أحد ، ما صمد .

التوحيد له كتــاب ، وله قلم جــذّاب ، ومــداد جميل ، وكاتب جليل ، فكتابه الكون وما فيه ، وقلمه قلبك النبيه ، ومداده دمعك المترقرق ، والكاتب إيمانك المتدفق .

التوحيد له رسالة أبدية ، ودعوة سـرمدية ، ولأصـحابه إلى مسـتقرهم ممر ، وبعد مـرورهم مسـتقر . فرسـالة التوحيد إفـراد البـاري بالألوهيه ، والربوبيه ، ودعوته اتبـاع

سيد البشريه ، ورسول الإنسانيه . وممر أصحابه الصـراط المستقيم ، ومستقرهم جنات النعيم .

للتوحيد منبر ، ومخبر ومظهر ، ومسك وعنبر .

فمنبره القلب ، إذا أخلص للـرب ، **ومخبره** النيـات الصـالحات ، **ومظهره** عمل بالأركـان ، وخدمة للـديان ، **ومسكه** الدعاء والأذكار ، **وعنبره** التوبة والاستغفار .

للتوحيد عين وبســتان ، وحــرس وســلطان ، وسيف وميدان .

فعينه النصــوص الواضــحه ، **وبســتانه** الأعمـــال الصالحه ، **وحرسه** الخـوف والرجـاء ، **وسلطانه** واعظ الله في القلب صباح مساء ، **وسـيفه** الجهـاد ، **وميدانه** حركات العباد .

وللتوحيد قضــاة وشــهود ، وأعلام وجنــود ، وحدود وقيود .

فقضاته الرسل الكرام ، **وشهوده** العلماء الأعلام ، **وأعلامه** شعائر الـدين ، **وجنـوده** فيلق من الموحـدين ، **وحـدوده** ما جـاء به الخـبر ، وصح به الأثر ، **وقيـوده** ما ورد من شروط ، للتوحيد المضبوط .

من دعـائم التوحيـد ، عـدم صـرف شـيء من العبـادة لغير المعبـود ، وتحـريم تقـديم شـيء من لـوازم الألوهيـة لغـير اللــه ممــا في الوجـود ، وركيزتــه إخلاص ليس فيــه رياء ، وعلامته إخبات ليس معه ادعاء .

فلا تُعبد النجـوم ولكن يُعبد مُركبها ، ولا تعبد الكـواكب بل يعبد مكوكبها ، ولا يُؤلّه حجر ، ولا بشر ، ولا شجر ، ولا مدر ، بل يؤلّه من فجر من الحجر الماء ، وأوجد الأحيــاء ، وخلق الشـجر كأنها أصـابع الأوليـاء ، فسـبحان رب الأرض والسماء .

الــوحي هز أبا جهل هــزّا ، لأنه يتهــزّى ، وســجد للاّت والعـزّا . قاتل الله هبل ، ومن طـاف حوله ورمل ، أو نـذر له أيّ عمل ، يا من خـــــــاف على نفسه من الحريق ،

والدمار والتمزيق ، احـذر من الشـرك ﴿ وَمَنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْـرُ أَوْ تَهْـوِي بِـهِ الـرِّيحُ فِي مَكَـانٍ سَـحِيقٍ ﴾ إذا أخلصت التوحيد جـاءك النصر ، وادخر لك الأجر ، ومحا عنك الوزر .

سمع أحد العباد قارئاً يتلوا ﴿ فَـاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ ، فقال أواه ، وارتفع بكاه ، وكان أحد الملوك الصـالحين ، يسمع أحد القـراء يقـرأ يتلحين ﴿ شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلا هُـوَ وَالْمَلائِكَـةُ وَأُوْلُـوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـطِ لا إِلَـهَ إِلا هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ ﴾ فجلس يبكي ويقـول وأنا أشـهد مع الشاهدين .

قـال أبو معـاذ الـرازي ، لو تكلمت الأحجـار ، ونطقت الأشـجار ، وخطبت الأطيـار، لقـالت لا إله إلا الله الملك القهار . ولما قال فرعون اللعين : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَـى ﴾ قـال : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُـلَّ شَـيْءٍ خَلْقَـهُ ثُمَّ هَـدَى ﴾ ، فكأنما لكمه بالجواب ، ولطمه بالخطاب . ولما قـال إمـام التوحيد للنمـرود العنيد ﴿ فَـإِنَّ اللَّهَ يَـأْتِي بِالشَّـمْسِ مِنْ الْمَشْـرِقِ فَـأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْـرِبِ ﴾ ، بهت وكُـذّب ، وخسر وعُذِّب ، وهذا لظهور آيات التوحيد وقوة سـلطانه ، وعـزة أهله وأعوانه ، وقد أمهر يحـيى بن زكريا التوحيد رأسه ، وقدم حمزة لما غمـره من نـور التوحيد رأسه ، ولمَّا ذاقه جعفر ، تقطع وبالرمل تعفر ، وذبح الخلفاء على بسـاطه ، وضرب الأئمة على التوحيد بأيـدي الظلم وسـياطه ، ونحر الشـهداء على فـراش التوحيد وبلاطه ، وكم من موحد وضع في الزنزانة ، لما أعلن إيمانه .

ولما نطق حـبيب بن زيد ، بكلمة التوحيد ، عند مسيلمة الكذاب العنيد . قطّعه بالسـيف فما أنْ ، ولا قـال له تأن ، بل اشـتاق إلى الجنة وحن ، ولما ذهبـوا بعبد الله بن حذافة إلى القـدور ، والجثث فيها تـدور ، والتوحيد في قلبه يمـور ، بكى وقـال : يا ليت لي بعـدد شـعر رأسي أرواح ، لتذوق القتل في سبيل الله والجراح .

وضرب طلحة يوم أحد بالسيوف والرماح ، فما شـكى ولا صاح ، حتى سـال بالـدم جبينه ، وشُـلت يمينه ، ويبقى

دينه ، لأن التوحيد قرينه . وقاتل مصــعب قتــال الأســود ، حتى وسّد اللحود ، لأنه وحّد المعبـود . ولما حضر عبد الله بن جحش معركة أحد ، دعا واجتهد ، بكلام يبقى إلى الأبد ، فقال : اللهم هيئ لي عدواً لك شديد حرده ، قوي بأسه ، فيقتلني فيك فيجدع أنفي ، ويبقر بطـني ، ويفقأ عيـني ، ويقطع أذني ، فـــإذا لقيتك يا رب فقلت لي : يا عبد الله لم فعل بك هذا ؟ قلت : فيك يا رب . فهل سمعت نشيداً كهذا النشيد ، وهل أطربك قصيداً كهـذا القصـيد ، لأنه من ديوان التوحيد .

وضع أحدُ الظلمة أحدَ الأولياء ، بين يدي الأسد ليتركــه أشلاء ، شمّه الأسد ثم تركه وذهب ، قيـل للـولي : لمـاذا تركك ؟ قال : بسبب التوحيـد وهـو أعظم سـبب ، قـالوا : فماذا كنت تفكر ؟ قال : كنت أفكـر في سـؤر الأسـد هـل هو طاهر أم نجس يطهر .

واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء ، في الليلة الظلمـاء ، في ذروة الشـتاء ، يتوضأ بالمـاء ، ويقطع الليل بالصـلاة والـدعاء ، والمناجـاة والبكـاء ، وحـرارة التوحيد أيقظت في الصالحين ، ذكر الله كل حين ، فلهم بالتسبيح زجل وحـنين ، وعزيمة التوحيد دفعت المنفقين ، وجعلتهم بأموالهم متصدقين ، على الفقراء والمساكين .

إذا نــاداك نــوح التوحيد ، وقــال اركب معنا أيها العبد الرشيد ، فلا تفوتك سـفينة الحميد المجيد ، وَجَـدَ إبـراهيم بن أدهم ورقة مكتوب فيها **الله** وقد سقطت في الطريق فبكى وحملها ، وطهرها وطيبها ، فطهر الله نفسه ، وطيّب اسمه ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم معــاذ بن جبل ، أن يكــون أول ما يـــدعو إليه توحيد الله عز وجل . وكان يبدأ بالتوحيد خطبه ، ويخط به كتبه ، ويدعو إليه ليلاً ونهارا ، وسراً وجهارا .

المقـامَــــة الإلـهيـــة

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا ﴾

((سـبحانك ما عبـدناك حـق عبـادتك))

تأمل في نبـــــــات الأرض وانظر　　إلى آثـــار ما صــــنع المليك
عيـــــــون من لجين شاخصـــــــــات　　بأحـــداق هي الـــذهب السـبيك

الله رحيم لطيف ، الله بيده الأمر والتصريف ، الله أعرف المعارف لا يحتاج إلى تعريف ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نرجو سواه ، عظيم السلطان والجاه ، أفلح من دعاه ، وسعد من رجاه ، وفاز من تولاه ، سبحان من خلق وهدى ، ولم يخلق الخلق سدى ، عظم سلطانه ، ارتفع ميزانه ، وجمل إحسانه ، كثر امتنانه .

إليك وإلا لا تشد الركـــــــــائب　　ومنك وإلا فالمــــؤمل خـــــــــائبُ
وفيك وإلا فالغـــرام　　وعنك وإلا فالمحـدث

علام الغيوب ، غفار الذنوب ، ستار العيوب ، كاشف الكروب ، ميسر الخطوب ، مقدر المكتوب ، عظمت بركاته ، حسنت صفاته ، بهرت آياته ، أعجزت بيناته ، أفحمت معجزاته ، جلت أسماؤه ، عمت آلاؤه ، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه ، كثرت نعماؤه ، حسن بلاؤه . ما أحسن قيله ، ما أجمل تفصيله ، ما أبهى تنـزيله ، ما أسرع

تسهيله ، ليس إلا الخضوع له وسيلة ، وليس لما يقضيه حيلة .

قد كنت أشـــــفق من دمعي على بصـــــري	فـــــــاليوم كل عزيز بعـــــــــــــدكم هانا
والله ما ذكرت نفسي	إلا رأيت دموع العين

يسقي ويطعم ، يقضي ويحكم ، ينسخ ويبرم ، يقصم ويفصم ، يهين ويكرم ، يروي ويشبع ، يصل ويقطع ، يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يرى ويسمع ، ينصر ويقمع وليّه مأجور ، والسعي إليه مبرور ، والعمل له مشكور ، وحزبه منصور ، وعدوه مدحور وخصمه مبتور ، يسحق الطغاة ، يمحق العصاة ، يدمر العتاة ، يمزق من آذاه .

سبحان من لو سجدنا بالجباه له	على لظى الجمر والمحمى من الأبرِ
لم نبلغ العشر من	ولا العشير ولو عشر

من انتصر به ما ذل ، ومن اهتدى بهداه ما ضل ، ومن اتقاه ما ذل ، ومن طلب غناه ما قل ، له الكبرياء والجبروت عز وجل .تم كمالهُ ، حسن جماله ، تقدس جلاله ، كرمت أفعاله ، أصابت أقواله ، نصر أوليائَه ، خذل أعدائَه ، قرّب أحبائه . اطلع فستر ، علم فغفر ، حلم بعد أن قدر ، زاد من شكر ، ذكر من ذكر ، قصم من كفر .

يا رب أول شــــــيء قاله خلـــــــــــدي	أني ذكرتك في سِــــــــري وإعلاني
فوالـــذي قد هـــدى	لأذهبن بـــوحي منك

لو أن الأقلام هي الشجر ، والمداد هو المطر ، والكتبة هم البشر ، ثم أثنى عليه بالمدح من شكر ، لما بلغوا ذرة مما

يستحقه جل في علاه وقهر . اعمر جنانك بحبه ، أصلح زمانك بقربه ، اشغل لسانك بمديحه ، احفظ وقتك بتسبيحه . العزيز من حماه ، المحظوظ من اجتباه ، الغني من أغناه ، السعيد من تولاه ، المحفوظ من رعاه . أرسل الرسل أفنى الدول ، هدى السبيل ، أبرم الحيل ، غفر الزلل ، شفى العلل ، ستر الخلل .

مهما كتبنا في علاك قصـــــــــــائداً ... بالـــدمع خطت أو دم الأجفـــــــــــان
فلأنت أعظم من ... وأحل مما دار في

في حبك عذب بلال بن رباح ، وفي سبيلك هانت الجراح ، لدى عبيدة بن الجراح، ومن أجلك عرض مصعب صدره للرماح . ولإعلاء كلمتك قطعت يدا جعفر ، وتجندل على التراب وتعفر ، ومزق عكرمة في حرب بني الأصفر . أحبك حنظلة فترك عرسه ، وأهدى رأسه ، وقدّم نفسه ، وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء ، وجرت منه الدماء ، وشيعته الملائكة الكرماء ، واهتز له العرش من فوق السماء .

وأحبك حمزة سيد الشهداء ، فصال في الهيجاء ، ونازل الأعداء ، ثم سلم روحه ثمناً للجنة هاء وهاء . من
المقامَةُ
أجلك سهرت عيون المتهجدين ، وتعبت أقدام العابدين ، وانحنت ظهور الساجدين ، وحلقت رؤوس الحجاج والمعتمرين ، وجاعت بطون الصائمين ، وطارت نفوس المجاهدين .

يا ربي حمــــداً ليس غـــــــــيرك يحمد ... يا من له كل الخلائق تصـــــــــــــمدُ
أبــواب كل مملّك قد ... ورأيت بابك واسعاً لا

أقلام العلماء ، تكتب فيه الثناء ، صباح مساء ، الرماح في ساحة الجهاد ، والسيوف الحداد ، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد ، جل عن الأنداد والأضداد .

للمساجد دوي بذكره ، للطيور تغريد بشكره ، وللملائكة نزول بأمره ، حارت الأفكار في علو قدره ، وتمام قهره .

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله ، ولمرضاتك أنفق أمواله وأعماله ، وفي محبتك قتل الفاروق ومزق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك دمعه ترقرق . ودفع عثمان أمواله لترضى ، فما ترك مالاً ولا أرضا ، جعلها عندك قرضا . وقدَّم عليٌّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجد ، وفي بيتك يتعبد فما تردد .

أرواحنا يا رب فــوق أكفنا … نرجو ثوابك مغنما وجـــوارا
لم نخش طاغوتــاً يحاربنا ولو … نصب المنايا حولنا أســوارا

تفردت بالبقاء ، وكتبت على غيرك الفناء ، لك العزة والكبرياء ، ولك أجل الصفات وأحسن الأسماء . أنت عالم الغيب ، البريء من كل عيب ، تكتب المقدور ، وتعلم ما في الصدور ، وتبعثر ما في القبور ، وأنت الحاكم يوم النشور . ملكك عظيم ، جنابك كريم ، نهجك قويم ، أخذك أليم ، وأنت الرحيم الحليم الكريم .

من الذي سألك فما أعطيته ، والذي دعاك فما لبيته ، ومن الذي استنصرك فما نصرته ، ومن الذي حاربك فما خذلته . لا عيب في أسمائك لأنها حسنى ، لا نقص في صفاتك لأنها عليا . حي لا تموت ، حاضر لا تفوت ، لا تحتاج إلى القوت ، لك الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت :

لو أن أنفـاس العبـاد قصـــائد … حفلت بمـــدحك في جلال علاكا

كسرت ظهور الأكاسرة ، قصّرت آمال القياصرة ، هدمت معاقل الجبابرة ، وأرديتهم في الحافرة . من أطاعك أكرمته ، من خالفك أدّبته ، من عاداك سحقته ، من نادّك محقته ، من صادّك مزّقته .

تصمد إليك الكائنات ، تعنو إليك المخلوقات ، تجيب الدعوات ، بشتى اللغات ، وبمختلف اللهجات ، على تعدد الحاجات ، تفرج الكربات ، تظهر الآيات ، تعلم النيات وتظهر الخفيات ، تحيي الأموات . دعاك الخليل وقد وضع في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يجد لسواك طريق ، فلما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظل ظليل ، بقدرتك يا جليل . وفلقت البحر للكليم ، وقد فر من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم . ودعاك المختار ، في الغار ، لما أحاط به الكفار ، فحميته من الأشرار ، وحفظته من الفجار . قريب تجيب كل حبيب .

ما أنت بالســـــــبب الضـــــــعيف وإنما   **أنت القـــوي الواحد القهـــــــــــــار**

لو أن الثناء ، لرب الأرض والسماء ، كتب بدماء الأولياء ، على خدود الأحياء ، لقرأت في تلك الخدود ، صحائف من مدح المعبود ، صاحب الجود ، بلا حدود .

ألسنة الخلق أقلام الحق ، فما لها لا تنطق بالصدق ، وتوحده بذاك النطق . لا تمن عليه دمعة في محراب ، فقد مزق من أجله عمر بن الخطاب ، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تشير ، وقد نشر الأولياء في حبه بالمناشير .

فاز بلال لأنه ردد أحد أحد ، ودخل رجل الجنة لأنه أحب قل هو الله أحد ، ومدح سبحانه نفسه فقال : الله الصمد ، ورد على المشركين فقال : لم يلد ولم يولد .

سبحان من تحدى بالذباب المشركين ، وضرب العنكبوت مثلاً للضالين ، وذكر خلقه للبعوض إِزراءً بالكافرين ، وحمل الهدهد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين ، وأهلك ناقه أعداءه المعارضين . خلق الأبرار والفجار ، والمسلمين والكفار ، والليل والنهار ، والجنة والنار ، وأنزل كل شيء بمقدار . في القرآن برهانه ، في المقامَةُ الكائنات امتنانه ، للمؤمنين إحسانه ، في الجنة رضوانه ، عم الكون سلطانه ، اللهم يا ذا العرش المجيد ، أنت المبدئ المعيد ، أنت الفعال لما تريد ، أنت ذا البطش الشديد ، لا ضد لك ولا نديد ، كورت الليل والنهار ، وجعلت النور في الأبصار ، وحببت العبادة إلى الأبرار ، وأجريت الماء في الأشجار ، أنت الملك الجبار ، والقوي القهار ، والعزيز الغفار ، أسألك بالأسماء التي بالسمو معروفة ، وأسألك بالصفات التي هي بالمجد موصوفة .

عن كل عيب تنـزهت ، وعن كل نقص تقدست ، وعلى كل حال تباركت ، وعن كل شين تعاليت ، منك الإمداد ، ومن لدنك الإرشاد ، ومن عندك الاستعداد ، وعليك الاعتماد ، وإليك يلجأ العباد ، في النوازل الشداد . حبوت الكائنات رحمةً وفضلا، ووسعت المخلوقات حكمةً وعدلا ، لا يكون إلا ما تريد ، تشكر فتزيد ، وتكفر فتبيد ، تفردت بالملك فقهرت ، وتوحدت بالربوبية فقدرت، تزيد من شكرك ، وتذكر من ذكرك ، وتمحق من كفرك ، حارت في حكمتك العقول ، وصارت من بديع صنعك في ذهول ، أدهشت بعجائب خلقك الألباب ، وأذهلت الخلائق بالحكم والأسباب ، باب جود عطائك مفتوح ، ونوالك لمن أطاعك وعصاك ممنوح ، وهباتك لكل كائن تغدو وتروح . لك السؤدد ، فمن ساد فبمجدك يسود ، وعندك الخزائن فمن جاد فمن جودك يجود ، صمد أنت فإليك الخلائق تصمد ، مقصود أنت فإليك القلوب تقصد ، تغلق الأبواب

عن الطالبين إلا بابك ، ويسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك ، خصصت نفسك بالبقاء فأهلكت من سواك ، وأفردت نفسك بالملك فأهلكت من عداك، لا نعبد إلا إياك ، ولا نهتدي إلا بهداك ، أقمت الحجة فليس لمعترض كلام ، وأوضحت المحجة فليس لضال إمام . شرعت الشرائع فكانت لك الحجة البالغة على الضلال ، وبينت السنن فما حاد عنها إلا الجهال ، نوعت العقوبة لمن عصاك ، وغايرت بين النكال لمن عاداك ، جعلت أسباب حياته مماته ، علة إنطاقه إسكاته ، أحييت بالماء وبه قتلت ، وأنعشت الأرواح بالهواء وبه أمت ، أشهد أنك متوحد بالربوبية ، متفرد بالألوهية ، أنت الملك الحق المبين ، وأنت إله العالمين ، وكنف المستضعفين ، وأمل المساكين ، المقامَةُ وقاصم الجبارين ، وقامع المستكبرين .

ولما جعلت التوحيد شعاري ، مدحت ربي بأشعاري ، فقلت في مدح الباري :

هــــذا أريج الزهر من بســـــــــــــتانه ... شعر كـأن الفجر في أجفانه

الســـــحر من إخوانه والحب من ... أخدانه والحسن من أعوانه

أنا ما رويت الشـــــعر من روما ... وما رتلت آي الحسن من لبنانه

كلا وما ســـاجلت من عمـــــــــــــران ... أو حطــان أو مجنونه أو قبانه

دع لامــــــرئ القيس الغــــويّ ضـــــلاله ... يلقي قفا نبك على شـــــــــــيطانه

ضل الهداية شكسبير فما روى ... إلا نزيف الــوهم من هذيانه

لما دعوت الشعر جاء ملبيا ... يســــقى كـــؤوس الشـــعر من حســـانه

فعففت عن مــــــدح الأنــــــام ترفعـــــــاً ... لا تمـــدحن العبد في طغيانه

لا ســـيف ذي يـــزن يتـــــوج مــــــدحتي ... أو شـــكر نابغة على ذبيانه

أو عاد أو شداد أو ذو منصب ... يُنمى إلى عــدنان أو قحطانه

ملك الملوك قصــدته ومدحته ... فتراكض الإبــداع في ميدانه

والله لو أن الســـماء صـــــــــــحيفة ... والمــــــزن يمطرها على إبانه

والـــــدوح أقلام وقد كتب الــــــــورى ... مـــــدح المهيمن في جلالة شـــــــأنه

والهدهد احتمل الرســـــالة غاضـــــباً   **يـــــدعو إلى التوحيد من إيمانه**

غضـــــباً على بلقيس تعبد شمســـــــــــــها   **فسعى لنسف الملك من أركانه**

[illegible]

اللهم صـــلي وســـلم على نبيـــك خـــاتم المرســـلين ، ورسول الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

المقـامَــة الـنَّـبـويَّـــة

 وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ

صــلى عليك الله يا علم الهـــــــــدى * واستبشــــــــرت بقـــدومك الأيـــامُ**
هتفت لك الأرواح * وازينت بحـــــديثك**

ما أحسن الاسم والمســمَّى ، وهو النــبي العظيم في ســــورة عمّ ، إذا ذكرته هلت الـــدموع الســـواكب ، وإذا تذكرته أقبلت الذكريات من كل جانب .

وكنت إذا ما اشتدّ بي الشـــوق والجــــوى * وكادت عــرى الصــبر الجميل تفصم**
أعلّل نفسي بالتلاقي وأوهمها * لكنّها**

المتعبد في غــار حــراء ، صــاحب الشــريعة الغــراء ، والملة السمحاء ، والحنيفية البيضــاء ، وصـاحب الشـفاعة والإســراء ، له المقـــام المحمــود ، واللـــواء المعقـــود ، والحـوض المـورود ، هو المـذكور في التـوراة والإنجيل ، وصاحب الغرة والتحجيل ، والمؤيد بجبريل ، خاتم الأنبياء ، وصــاحب صــفوة الأوليــاء ، إمــام الصــالحين ، وقــدوة المفلحين وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

الســماوات شــيّقات ظِمـــــــــــــاء * والفضا والنجـــــــوم والأضـــــــــــــواءُ**
كلها لهفة إلى العلَم * دى وشــــوق لذاتــه**

تنظم في مدحه الأشعار ، وتدبج فيه المقامات الكبارِ ، وتنقل في الثنــاء عليه الســير والأخبــار ، ثم يبقى كــنزاً محفوظــاً لا يوفّيه حقه الكلام ، وعلمــاً شـامخاً لا تنصـفه الأقلام ، إذا تحدثنا عن غيره عصرنا الذكريات ، وبحثنا عن الكلمــات ، وإذا تحــدثنا عنه تــدفق الخــاطر ، بكل حــديث عاطر ، وجاش الفـؤاد ، بـالحب والـوداد ، ونسـيت النفس همومها ، وأغفلت الـــــروح غمومها ، وســـــبح العقل في ملكــوت الحب ، وطــاف القلب بكعبة القــرب ، هو الرمز

لكل فضـــيلة ، وهو قبة الفلك خصـــال جميلة ، وهو ذروة سنام المجد لكل خلال جليلة .

إنْ كـــان أحببت بعد الله مثـــــــــلك في **بـــــــدو وحضر وفي عـــــــرب وفي عجمِ**
فلا اشـتفى نـاظري **ولا تفـــوه بالقـــولِ**

مرحباً بالحبيب والأريب والنجيب الذي إذا تحدثت عنـه تزاحمت الذكريات ، وتسابقت المشاهد والمقالات .

صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه ، وسـلم الله ذاك الوجه ما أبهــاه ، وبــارك الله على ذاك الأســوة ما أكمله وأعلاه ، علم الأمة الصــدق وكـانت في صــحراء الكــذب هائمة ، وأرشـدها إلى الحق وكـانت في ظلمـات الباطل عائمة ، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة .

وشب طفل الهدى بـــالخير مـــتزّراً بـــالنور
في كفه شـــــــعلة عقيـدة تتحـدى كل جبـارِ

كانت الأمة قبله في سبات عميـق ، وفي حضـيض من الجهـل سـحيق ، فبعثـه اللـه على فـترة من المرسـلين ، وانقطاع من النبيين ، فأقام الله به الميزان ، وأنـزل عليـه القرآن ، وفرق بـه الكفـر والبهتـان ، وحطمت بـه الأوثـان والصـلبان ، للأمم رمـوز يخطئـون ويصـيبون ، ويسـدّدون ويغلطون ، لكن رسولنا صلى الله عليه وسلم معصوم من الزلل ، محفوظ من الخلل ، سليم من العلل ، عصم قلبـه من الزيغ والهـوى ، فمـا ضـل أبـداً ومـا غـوى ، إنْ هـو إلا وحي يوحى .

للشــعوب قــادات لكنهم ليســوا بمعصــومين ، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين ، أما قائدنا وسيدنا فمعصوم من الانحراف ، محفوف بالعناية والألطاف .

أثني على مَنْ أتدري
أما علمت بمن أهديتُه

في أصــــدق النـــاس

المقامَة

وأثبتِّ النـاس قلبـاً غـير

قصــارى ما يطلبه ســادات الــدنيا قصــور مشــيدة ، وعساكر ترفع الـولاء مؤيـدة، وخيـول مسـومة في ملكهم مقيدة ، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلدة ، وخدم في راحتهم معبدة.

أما محمّد عليه الصلاة والسلام فغاية مطلوبه ، ونهاية مرغوبــه ، أن يعبد الله فلا يشــرك به معه أحد ، لأنه فــرد صمد ،لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يســـكن بيتــاً من الطين ، وأتباعه يجتــاحون قصـــور كسرى وقيصر فاتحين ، يلبس القميص المرقــوع ، ويربط على بطنه حجـرين من الجـوع ، والمـدائن تفتح بدعوته ، والخزائن تقسم لأمته .

إن البرية يــوم مبعث أحمد	**نظر الإله لها فبـــدّل حالها**
بل كـــرم الإنســـان حين اختــــــــار من	**خــــــير البرية نجمها وهلالها**
لبس المرقع وهو قائد أمة	**جبت الكنوز فكسّرت أغلالها**

ماذا أقول في النبي الرسول ؟ هل أقول للبدر حــييت يا قمر السماء ؟ أم أقول للشمس أهلاً يا كاشفة الظلماء ، أم أقول للسحاب سلمت يا حامل الماء ؟

يا من تضـــــــــوّع

فطـــــــاب من طيب تلك

نفسي الفـداء لقــبر

فيهِ العفـاف وفيه الجـودُ

اسلك معه حيثما سـلك ، فـإن سـنته سـفينة نـوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك ، نزل بـزُّ رسـالته في غار حراء ، وبيع في المدينة ، وفصل في بدر ، فلبسه كــل مؤمن فيا سـعادة من لبس ، ويـا خسـارة من خلعــه فقــد

تعس وانتكس ، إذا لم يكن المــاء من نهــر رســالته فلا تشــرب ، وإذا لم يكن الفــرس مســوَّماً على علامتــه فلا تركب ، بلال بن رباح صار باتباعه سيداً بلا نسب ، وماجداً بلا حسب ، وغنيّاً بلا فضـة ولا ذهب ، أبـو لهب عمـه لمـا عصاه خسر وتبّ ، سيصلى ناراً ذات لهب .

الفـــــرس والـــــروم فعند ذكــرك أســمال
واليونــان إن ذكــروا على قـــــــــــــزم
هم نمقـــــــوا لوحة وأنت لوحك محفــوظ

وإنك لتهــدي إلى صــراط مســتقيم ، وإنك لعلى خلق عظيم ، وإنك لعلى نهج قويم ، ما ضـلّ ، وما زلّ ، وما ذلّ ، وما غلّ ، وما مـلّ ، وما كـلّ ، فما ضـلّ لأن الله هاديـه، وجبريل يكلمه ويناديه ، وما زلّ لأن العصمة ترعاه ، والله أيــده وهــداه ، وما ذلّ لأن النصر حليفه ، والفــوز رديفه ، وما غلّ لأنه صاحب أمانة ، وصيانة ، وديانــة، وما مـلّ لأنه أعطي الصبر ، وشرح له الصدر ، وما كـلّ لأن له عزيمة ، وهمة كريمة ، ونفس طاهرة مستقيمة .

كأنك في الكتاب
محرمة عليك فلا تحــــلُّ
إذا حضر الشتاء فأنت
وإن حل المصـيف فـأنت

صلى الله عليه وسلم ما كـان أشـرح صـدره ، وأرفع ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شـرفه ، وأربح صــفقه ، من آمن به وعرفه ، مع ســعة الفنــاء ، وعظم الآناء ، وكـرم الآبـاء ، فهو محمد الممجد ، كـريم المحتد ، سـخي اليد ، كـأن الألسـنة والقلـوب ريضـت على حبه ، وأنست بقربه ، فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بحمده ، ولا تسبح إلا في بحر مجده .

نــور العــرارة نــوره نشر الخــــزامى في
ونســـــــــــيمه اخضـــــــــرار الآسي
وعليه تـاج محبة من ما صيغ من ذهب ولا

إن للفطر السـليمة ، والقلـوب المسـتقيمة ، حب لمنهاجه ، ورغبة عارمة لسـلوك فجاجه ، فهو القـدوة الإمام ، الذي يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام .

صـلى الله عليه وسـلم علم اللسـان الـذكر ، والقلب الشـكر ، والجسد الصـبر ، والنفس الطهر ، وعلم القـادة الإنصاف ، والرعية العفاف ، وحبب للنـاس عيش الكفـاف ، صبر على الفقر ، لأنه عاش فقـيرا ، وصـبر على جمـوع الغـنى لأنه ملك ملكـاً كبـيرا ، بعث بالرسـالة ، وحكم بالعدالة ، وعلم من الجهالة ، وهـدى من الضـلالة ، ارتقى في درجات الكمـال حـتى بلغ الوسـيلة ، وصـعد في سـلّم الفضل حتى حاز كل فضيلة .

أتـاك رسـول المكرمـات مسلمـاً | **يريد رسـول الله أعظم متقي**

هـذا هو النـور المبـارك يا من أبصر ، هـذا هو الحجة القائمة يامن أدبر ، هذا الذي أنذر وأعـذر ، وبشر وحـذر ، وسـهل ويسر ، كـانت الشـهادة صـعبة فسهّلها من أتباعه مصـعب ، فصـار كل بطل بعـده إلى حياضه يـرغب ، ومن مورده يشرب ، وكان الكذب قبله في كل طريق ، فأبـاده بالصديق ، من طلابه أبو بكر الصديق ، وكـان الظلم قبل أن يبعث متراكماً كالسحاب ، فزحزحه بالعدل من تلاميذه عمر بن الخطـاب ، وهو الـذي ربى عثمـان ذو النـورين ، وصاحب البيعتين ، واليمين والمتصـدق بكل ماله مـرتين ، وهو إمـام علي حيـدره ، فكم من كـافر عفـرّه ، وكم من محـارب نحـره ، وكم من لـواء للباطل كسـره ، كـأن المشركين أمامه حمر مستنفرة ، فرت من قسوره .

إذا كان هذا الجيل

وقد حكموا السِادات فِي

فقل كيف كـان

مع نِوره لا تذكر الشمس

كـانت الـدنيا في بلابـل الفتنـة نائمـة ، في خسـارة لا تعـرف الـربح ، وفي اللهـو هائمـة ، فـأذّن بلال بن ربـاح ، بحي على الفلاح ، فـــاهتزت القلـــوب ، بتوحيـــد علاّم الغيوب ، فطارت المهج تطلب الشهادة ، وسبحت الأرواح في محراب العبادة ، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة .

كل المشارب غير

وكل أرض سوى الزهـراء

لا تنحر النفس إلا

فالموت فوق بلاط الحب

المقامَة

أرســله اللــه على الظلمــاء كشــمس النهــار ، وعلى الظمأ كالغيث المـدرار ، فهـز بسـيوفه رؤوس المشـركين هـزّاً ، لأن في الـرؤوس مسـامير اللات والعـزى ، عظمت بدعوتــه المنن ، فإرســاله إلينــا أعظم منّــة ، وأحيــا اللــه برسالته السنن ، فأعظم طريق للنجاة إتباع تلـك السـنة . تعلم اليهود العلم فعطلوه عن العمـل ، ووقعـوا في الزيـغ والزلل ، وعمـل النصـارى بضـلال ، فعملهم عليهم وبـال ، وبعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد ، والعلم الصالح الرشيد .

أخوك عيسى دعا

وأنت أحــييت أجيــالاً من

قحطـــان عـــدنان

بك التشــرف للتـــاريخ لا

المقـامَــة الـكـونيـــــة

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

وكتابي الفضاء أقرؤ فيه سـوراً ما قرأتها في كتـــــابي
صوراً تدهش العقول بسـكب السـحر في

سبحان من له في كل شــيء آية ، ليس لملكه نهاية ، وليس لعظمته غاية ، اقرأ آيات القدرة في صـفحة الكـون ، وطـالع معجـزة الخلق في الحركة والسـكون ، في الليل إذا عسعس ، والصـبح إذا تنفس ، في السـمك السـارب ، في النمل الدائب ، في هالة النور تنشر رداء السـناء ، في الفضـاء ، في النهـار يتمـاوج ، في البحر هـائج مـائج ، في النحل يلثم الأزهـار ، في الليل يعـانق النهـار ، في الـدمع يــترقرق ، في الــدماء تتــدفق ، في الزهر يتشــقق ، في الــدواب الســائمة ، في الوحــوش الهائمة ، في الطيــور الحائمة ، في الحيتـــان العائمة ، في العـــود يشـــتد ، في الظل يمتد ، في الجبال ترتدي عمـائم الثلـوج ، في القمر يهــرول في الــبروج ، في الشــمس تتــبرج ســافرة على العالم ، في النبت ما بين نائم وقائم .

في الأســـرار تكنزها الضـــمائر ، في الأخبـــار تختزنها السرائر.

في الصخور كأنها تنتظر خبرًا من السماء فهي صـامتة ، في الحجارة يكسرها الإنســان بفأسه وهي ســاكتة ، في الفجر يطلق من عباءته النور ، في الأذهان بالأفكار تمور ، في الماء ينهمر من السماء ، ويغوص في الرمضاء ، يُقبِل بالخضــرة والنمــاء ، ويــدلف بالحيــاة للأحيــاء، يهيج أحيانا ويهدر ، ويزحف ويدمر ، لا تحدُّه الحدود ، ولا تردُّه السدود ، وعظمته سبحانه في خلق الإنســان ، وتركيبه في أحسن كيان ، حيث جعل في العينين سراجًا من النــور، وأنشأ في القلب بصيرة تدرك الأمور ، وخلق العقل يقود هذا الكـائن ، ويوجهه وهو ساكن ، في النبتة تشق طريقها إلى الفضاء

، وترفع رأسـها إلى السـماء ، في العنـدليب يرتجل على الغصن كـالخطيب ، في الحمـام يشـدو بأحسن الأنغـام ، يشكو الحب والهيام ، والعشق والغرام ، في الغـراب يخبأ رزقه في الخراب ، ويدفن خصمه في الـتراب ، في الأسد يطـــــارد القنيصة ، ويمـــــزق الفريسة . في النحل يئنّ ، والذباب يطِنّ ، في الزنبور يرنّ .

في عالم النبات ، آلاف المذاقات ، ومئات الطعومات ، أخضر يعـانق أحمر ، وأصـفر يضـم أغـبر ، في الأوراق تميس في الطل ، في الحشرات تهرب إلى الظِّل .

في الناقة تحِنُّ إلى وليدها ، وتشتاق إلى وحيدها ، في الليل يخلع ثيابه على الآفـــاق ، في الضـــباب يخيّم على الأرض كالأطباق ، في النار تحرق ، في الماء يغرق .

في الضياء يسطع ، في الضوء يلمع ، في العين تـدمع ، في البرق يكـاد يـذهب سـناؤه بالأبصـار ، في الصـواعق تقصف الصخور والأشـجار ، في الرعد يـدوِّي فيملأ العـالم ضجيجا ، في الروض يفوح فيعبق به الجو أريجا .

في أهل السـلطان بين ولاية وعــزل ، وأسرٍ وقَتْــل ، وهزيمةٍ ونَصـْـر ، وسـِجْنٍ وقَصـْـر ، في المــوت يخــترم النفـــوس ، ويســقط على الـــرؤوس ، ويأخذ الـــرئيس والمرؤوس ، ويبزّ العـريس والعـروس ، ويهـدم الأعمـار ، ويعطِّل الأفكار ، ويخلي الديار ، ويدخل كل دار .

في صـــنف من البشر ، يعيشـــون البطر ، له أمـــوال كالجبال ، وآمال كأعمار الأجيال ، قصـور تشـاد ، كأنها لن تباد ، وحدائق غنّاء ، وبساتين فيحاء .

وفي صـــنف آخر فقــير ، في دنيــاه حقــير ، لا يملك الفتيل ولا القطمـــــير ، يبحث عن الرغيف ، وينـــام على الرصيف ، ولقلبه من خوف الفقر رجيف .

في أهل العافية يمرحـــون ، وفي نعيمهم يســرحون ، وبما أوتـــوا يفرحـــون . وفي أهل البلاء ، وفي أصـــحاب الضنك والشقاء ، في ظلمـات المحيطـات ، وفي متاهـات الغابـــات ، وفي مجاهل الفلـــوات . أرض تمتد بلا بشر ،

صحارٍ قاحلة ليس فيها شجر ، وعوالم موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر .

نجوم تسقط ، وكواكب تهبط ، ونيازك تلتهب ، ترمي بشرر ولهب ، مجرّات سميّة ، ومنازل قمريّة ، حدائق بأثواب الحسن تسر الناظرين ، ومشاهد في الكون جميلة تأخذ ألباب المبصرين ، رياض أنيقة تسرح فيها الغزلان ، باقات من الورود بهيجة يلعب بها الولدان .

كل في فلكٍ يسبح ، وكلٌّ في عالم يمرح ، شمس تجري كأنها تبحث عن مفقود ، قبل أن تطلع تسجد للمعبود ، آية باهرة ، وحكمة ظاهرة ، في خلق الإنسان ، ذلك الكيان ، الذي يحمل جامعات من السكنات والحركات ، فذهن متوقد ، وقلب متجدد ، وخيال يطوي الزمان والمكان ، ويناقل الإنسان ، بين خوف وأمان ، وذاكرة حافظة ، وألسنةٌ لافظة ، وشركات في كل الأعضاء ، منها يجذب الهواء ، ويسحب الماء ، ويهضم الغذاء ، ويجلب الدواءْ ، ويُذهب الداء ، ما بين دفعٍ وضغط ، وإخراج وشفط ، ومؤسّسات تشارك في بناء الجسم ، وفي قيام الرسم ، ليكون في أحسن تقويم ، وأكمل تنظيم ، في الطير وهو يبحث عن طعامه ، ويعود إلى مستقرّه ومنامه ، في الكائنات وهي في صراع محموم ، وفي هموم وغموم ، لتحصل على رزقها المقسوم ، وعيشها المعلوم ، في الإنسان وهو يفكِّر ويقدِّر ، ويقدِّم ويؤخِّر ، ويخطّط وينظر ، في الجبال ، واقفة في هيبة وجلال ، في الروابي الخضراء آية في الجمال ، في العافية والأسقام ، في الحقيقة والأحلام ، في اليقين والأوهام ، في الأقدام والأحِجام ، في السحاب والسراب ، والضباب والرضاب.

في الأحياء ، وحُبِّها للبقاء ، ومدافعتها للأعداء ، فهذا بمخلبه يصول ، وهذا بنابه يجول ، وهذا بمنقره يناضل ، وذاك بريشه يقاتل ، وآخر بسُمِّه يدفع ، وغيره بجناحه يردع ، منهم من يطير ، ومنهم من يسير ، ومنهم من يسبح ، ومنهم من يمرح ، ومنهم على رجلين ، ومنهم

على يدين ، ومنهم من يطير بجناحين ، هذا يزحف ، وذاك يخطف ، وهــذا في قيْــدِه يرسـُـف ، في التقــاء الأحبــاب والفراق ، في الضم والعناق ، في الركود والانطلاق .

في النجمة هائمة في صـــــفحة الســـــماء تبسم في حنــادس الليل ، في البــدر تفنيه الليــالي ويدركه المحــاق كأنه قتيل ، في روعة الإشــراق ، وقد نشــرت الشــمس ضفائرها ونـثرت جـدائلها على التلال ، وبثَّت سِحْرها على الجبال .

في الطبيب يشفي من الداء ، فـإذا أدركه الفنــاء ، بار فيه الدواء ، وعجز في علاجه الأطبّاء ، في المريض ييـأس من العافية ، وتحـــار فيه الأدوية الظـــاهرة والخافية ، ثم تدركه من الله عناية شافية ، ورحمة كافية ، في الــبراكين تثور بالدمار ، في الزلازل تهز الديار ، في السُّم يُصنع منه الدواء ، في الماء يكـون سـبباً للفنـاء ، في الهـواء يعصف فيــدمر الأشــياء ، في الــريح تكــون رخــاءً فتلقح الثمــار ، وتسوق الأمطــار ، وتـزجي السـفن في البحــار ، ثم تكـون عاصفة هوجاء ، فتقتل الأحيــاء ، وتنقل الوبــاء ، في النخل باســقات لها طلع نضــيد ، في الجبـــال تثبت الأرض وقد كــادت تميد ، في اَلَّلبن يخــرج من بين فــرثٍ ودم، في كل مخلوق كيف وُجِد من العــدم ، في الإبل كيف خُلقت ، في السماء كيف رُفعت ، في الجبال كيف نصبت ، في الأرض كيف سُطِحت ، في الضحى إذا ارتفع ، في الغيث إذا همع ، في خلق الإنسان كيف ينكس ، وفي عمــره كيف يعكس ، يعمّر فيعــود كالطفل ، فلا يُفرِّق بين فـــرضٍ ونفل ، في الطائر كيف يجمع القَش ، ويبــني العُش ، ويختــار عيضه ، ثم يضع بيضه ، في العجمــاوات ما بين جــائع وبطين ، في الــــدود تبحث عن طعامها في الطين ، في البلبل يحبس في القفص فلا يـبيض ، ويعيش بجنــاح مهيض ، في الحيّــة وهي في الصــحراء ، تنصب جســمها كأنه عــود للإغــراء ، فيقع عليها الهدهد ، يظنها عــود مجرَّد ، فيكــون طعامها ، بعد أن رأى قيامها ، في الثمـــرة تحمى بأشـــواك ، كأنها أســـلاك ، في الأطعمة ما بين حلو وحـــامض ، وقلـــوي

وقابض، في الناس ألف كواحد ، واحد كجيش حاشد ، في البشر ما بين عاقل حصـــــيف، وطـــــائش خفيف ، وتقي متنسِّك ، وفاجر متهتِّك ، في الأرواح كيف تتآلف وتتخـالف ، في اختلاف الأصوات ، وتعدد اللّهجات ، وتبـاين النغمـات ، وكثرة اللغات ، في الحر يكـاد يـذيب الحديد ، في الـبرد يحـول المـاء إلى جليد ، في الأرض يعلوها من الغيث بُـرد أخضر ، ويكســوها من القحط رداء أغــبر ، في المعــادن تــذوب بالنــار ، فتســيل كأنها أنهــار ، في الســماء تتلبّــد بالغيوم ، ولها وجـوم ، كـأن وجهها وجه مهمـوم ، أو طلعة مغمــوم ، في الشــمس تكسف ، في القمر يخسف ، في كل ما ننكر ونعـــرف ، في كل مولـــود حين يوضع ، كيف يهتــدي إلى الثــدي فيرضع ، إن عــاش الحيــوان في جو معتدل كساه بالشعر ، وإن عـاش في بـرد قـارص غطـاه بالوبر ، وإن عاش في الصحاري دثـره بالصـوف ، ليقـاوم الحتـوف ، حيـوان الغـاب يـزوده بنـاب ، ويمنحه مخلاب ، وطـير العـريش يقويه بـريش ليعيش ، ينبت في الصـحراء شجرة جـرداء ، تصـبر لحـرارة الرمضـاء ، ووهج البيـداء ، ويــزرع في البســتان شــجرة ذات رواء وأغصــان ، ندية الأفنان ، مختلفة الطعوم والألوان ، جعل الصيد في البيد ، ليحمي نفسه من التهديد ، علّم العنكبــوت ، كيف تبــني البيوت ، وهدى النملة لادّخار القـوت ، جعل فـوق العيـنين حــاجبين ، ليحميهما من ضــرر المعتــدين ، وجعل أمامها رمشــين ، لتكــون في حــرز أمين ، وجعل فيهما مــاء تغتسلان به كل حين ، يسلط الرياح على السـحاب ، فيقع التلاقح والإنجــاب ، إن شــاء جعل الهــواء عليلاً ، يحمل نسـيماً جميلاً ، وإن شـاء جعله ريحـاً عاصـفةً ، مـدمرة قاصفة ، سبحان من حكم الكون بالقهر ، مع علو القــدر ، ونفاذ الأمر ، له الملكوت والجبروت ، وهو حي لا يمـوت ، أحسن كل شيء خلقه ، وتكفل بكل حي يوم رزقه ، أوجد الحب وفلقه ، تســمى بأحسن الأســماء، واتصف بأجمل الصفات والآلاء ، عطاؤه أنفع عطاء ، جـلّ عن الشـركاء ، نصر الأوليـاء ، وكبت الأعـداء ، عبادته فـرض ، والصـدقة عنده قرض ، وسلطانه عمّ السماء والأرض ، يعلم الغيوب

، ويقدر المكتوب ، ويمحو الذنوب ، ويستر العيوب ، ويهدي القلوب ، وينقذ المكروب ، نعمه لا تعد ، ونقمه لا تصد ، وعظمته لا تحد ، وعطاياه لا ترد ، منصورٌ من والاه، سعيدٌ من دعاه ، موفَّق من رجاه ، مخذول من المقامة عصاه ، مدحور من عاداه .

من الـــذي قد … لملكه قد احتـوى
اســتوى … والمنعم الكـريم
ومن هو العظيم … لأشرف المساعي
ومن يجيب … ووسع البرّية
الـــداعي … وعلم الصـوابا
ومن بـرى البرية … من قصر القياصرة
من أنـزل الكتابـا … علمه البيانا
من كسر الأكاسـرة … ونشر الغماما
من علم الإنسـانا … وأوضـح الطريقـة
من أسـدل الظلاما … والعبد قد هـداه
من أطعم الخليقـة … والحق قد أعـاده
الخـير قد أسـداه … فقـدرنَّ قـدره
والشر قد أبـاده … وبطشه شـديد
وهو عظيم القـدرة … فقل هو الله أحد
يفعل ما يريد … والوصف والأسماء
وهو المسـمى
بالصـمد … وغلّط المكيّفة
يعـرف بـالآلاء … كمـذهب السـفيهِ
فلا تكيف في … يا ربنا علّمنا
الصفة … ولا تكن جهـولا
ولا تجـادل فيـهِ … واحـذر أخي من
وقل نعم سـلّمنا … الخلف
واتبع الرسـولا … والآل والقرابة

وكن على نهج السـلف … ولا تطع أهل البدع

واحــترم الصـحابة … وسر له حثيثًا

وكن تقيّـاً واتبع … حبـاك ربي الفهما

وعظم الحـديثا … يعرفه العبيـدُ

واطلب هديت علما … والـزور والآثاما

فكل هاتيك سـفه

أوله التوحيـدُ … فهم نجـوم الأمة

واجتنب الكلاما … أهل العلا والمنفعة

ومنطقاً وفلسـفة

واتبع الأئمة … علومه شـريفة

كالخلفـاء الأربعة … في العلم

كـذا أبو حنيفة … كالمؤسـسِ

ومالك بن أنسِ … في علمه مجـودْ

والشـافعي محمّـدْ … إمامنا المبجل

وأحمد بن حنبل … بزهده مـزدانُ

وشـيخنا سـفيان … قد جـدّ في

والبـارع الأوزاعي … المسـاعيِ

وأحمد الحـرّاني … العـالِم الربـاني

وبعـده محمّد … من نجد جا يجـدد

وهـذه وصـيّة … أبياتها محصيّة

مـوجزة لطيفة … في لفظها خفيفة

نظمتها على عجل … في ربنا عز وجل

فهو أحق من ذُكِـر … وهو أجلّ من شـُكِرْ

أسـأله التوفيقا … والفهم والتحقيقا

وأشـرف الصـلاةِ … لصـاحب الآيـاتِ

المصطفى وصحبهِ … آنسـنا بحبه

المقامَة

المقـامَـــــة الـحـديـثيـّــة

 وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى

من زار بابـــــــك لم تـــــــــبرح جوارحه
تـــروي أحـــاديث مـــا أوليت من منن
فـــالعين عن قـــرة والقلب عن جـــــــابر

جاءني عطاء الله السـمرقندي ، فبـات عنـدي ، وكـان أحد المحدثين ، ويكـره الُمحْـدِثين في الـدين ، فقلنا : أيها الإمـام ، عليك السـلام : الـوقت حـثيث ، فحـدثنا عن علم الحـديث ، فتـأوّه ثم قـال : مـات حفاظه ، فكـادت تنسى ألفاظـهُ ، ، وأهل الحــديث هم الــركب الأخيــار ، أحبــاب المختار ، قوم تصدقوا بالأعمار على الآثار ، وقضوا الحيـاة في الأسفار ، لجمع كلام صفوة الأبرار :

في كل يـــوم لنا في
نغـدو بـدار ونمسي بعد

شدّوا العمائم ، وجدّوا في العزائم ، وتسـلحوا بالصـبر الدائم ، فلو رأيتهم وقد فتحوا الدفاتر ، وقربــوا المحــابر ، وكتبــوا : حـــدثنا مســـدّد بن مســـرهد ، أو رواه أحمد في المسـند ، أو أخرجه البخـاري ، وشـرحه في فتح البـاري ، لهــانت عنــدك الــدنيا بما فيها ، وركبت ســفينة الحــديث ونــاديت باسم الله مجراها . ولأقبلت على العلم والكتب ، وهجرت اللهو واللعب ، واللغو والطرب .

يفـــوح من فم المحـــدث المسك التِّبـــتي ، لأن عليه سـيماء (نضَّـر الله ، امـرأً سـمع مـني مقـالتي) أنفـاس المحدثين تنضح بالطيب ، لأنها حملت اسم الحبيب :

يكـــون أجاجـــاً دونكم

إليكم تلقى طيبكم المقامَة

بنفسي ذاك المحـــــدث إذا جلس على الكرسي ، وقد حف به الطلاب ، ونشر الكتاب ثم قال : حــدثنا محمد بن شـهاب ، عنـدها يرتحل قلبك ، ويكـاد يطـير لبك ، شـوقاً لصـــــــاحب التركة ، لما جعل الله في كلامه من البركة . فتصبح الـدنيا رخيصة مرفوضة ، لا تسـاوي جنـاح بعوضة ، وتشتاق النفوس إلى الجنة ، لما غشيتها أنوار السنة .

إني إذا احتوشـــتني	**يكتبن حدثني طـوراً**
ألف محــــــــــبرةٍ	**وأخــــــــــــــبرني**
نــــادت بحضـــرتى	**تلك المكـــــــارم لا**

أما أخبــار المحــدثين في الأســفار ، وقطع القفــار ، وامتطاء البحار ، وركوب الأخطار ، فقد حفلت به الأسـفار . ولكنهم في ســفرهم يقــرؤون كتــاب الكــون ، في كل حركة وســكون ، فــإن المحــدث يجد المتعة في ارتحاله ، والبهجة في انتقاله ، من ناد إلى نـاد ، ومن جبل إلى واد ، فهو يعب من المناهل ، ويســــرح طرفه في المنــــازل ، ويطلق بصــره إلى دســاكر الأقطــار وغياضــها ، وحــدائق الديار ورياضها ، فيلمح عجائب البلـدان ، ويتصـفح غـرائب الأوطـان ، ويـأنس بنغم الطيـور في كل بسـتان ، فهو في تنقل بين حيطان وغيطان ، ووديـان وأفنـان وألـوان ، تمر به الصور والمشاهد ، ويـبيت في المسـاجد ، ويعب المـاء النمير ، من كل غدير ، له في كل بلدة أصــحاب ، وله في كل قرية أحباب .

يفترش الغـبراء ، ويلتحف السـماء ، سـلم في سـفره من أذى الجـــيران ، وضوضــــاء الصـــبيان ، والثقيل من الإخــوان ، ينـام على الـثرا ، في العــرا ، خــارج القــرى ، مركوبه رجلاه ، وخادمه يداه ، البسمة لا تغادر محياه :

ومشتت العزمـات لا	**ســـــكن ولا أهل ولا**
يــــــــــأوي إلى	**جــــــــــــــيرانِ**
ألِــفَ النــوى حــتى	**للـــــبين رحلته إلى**

قيل للفلاسفة : من سـندكم ؟ قـالوا : ابن سـينا عن سرجيس بن ماهان ، عن أرسطاليس من اليونان .

وقيل لعلمـاء الكلام : من سـندكم ؟ قـالوا : محمد بن الجهم من خراسان ، عن الجهم بن صفوان .

وقيل للمحـدثين : من سـندكم ؟ قـالوا : طـاووس بن كيسـان ، عن ابن عبـاس ترجمـان القـرآن ، عن الرسـول سـيد ولد عـدنان ، عن الـرحمن ، كـان المحـدِّث إذا ودّع أولاده ، وتـرك بلاده ، وحمل زاده ، يجد من راحة البـال ، وطيب الحال ، ما يفوق فرحة أصحاب الأمـوال ، وما يربو على سرور من ملك الرجال .

إذا جمع بعضهم كلام الفلاسـفة ، أهل الزيغ والسـفه ، الـذي يـورث الجـدال والمعاسـفه ، جمع المحـدثون كلام الذي ما ضل وما غـوى ، وما ينطق عن الهـوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

وإذا تفـــاخر أحـــدهم بجمع كلام علمـــاء الكلام ، أهل الشقاق والخصام ، والفرقة والخصام . تفاخر المحــدثون بحديث خير الأنـام ، أزكى من صـلى وصـام ، وحج بـالبيت الحرام . قال الشافعي : إذا رأيت محدثا فكأني رأيت أحد أصــحاب محمد ، قلت : لأن نهجهم مســدد ، وعلمهم من الله مؤيد .

وقد أطــــال ثنـــائي

إن الثنــاء على التنبــال

أنا لا أريد سَنَدي من إيـوان كسـرى أنو شـروان ، ولا من الرومان ، ولا من اليونان، أريد سندي عن سفيان ، أو سليمان بن مهران ، أو سلمان عن رسـول الإنس والجـان .

تعلمني كلام النـاس بلا دليل ، ولا تأصـيل ، وتقـول هـذا كلام جميل ، وعندي التنـزيل ؟

قيل للحمار ، لماذا لا تجتر ؟ قال : أكره الكذب .

وقيل للجمل لماذا لا ترقص ؟ قال : لا أعرف الطـرب .

وتعلمــني الفلســفة والمنطق ، وأنا ما عنــدي وقت للعب .

أريد أن أســمع في المجلس ، حــدثنا ســبعين مــرة ، لتكتمل المسرّة .

أهل الحــديث همــوا

لم يصــــــــحبوا نفسه المقامَة

الحــديث النبــوي كلام ، لم يخمر في عقــول فلاســفة اليونان ، ولم يتعفن في أدمغة فلان وفلان ، ولم يــأت من أهــواء أهل الطغيــان . وإنما قاله من أتى بــالقرآن ، تقــرأ استنباط أهل الفهوم ، وتطالع كتب أرباب العلوم ، ثم تتلو حديث المعصوم ، فـإذا مـاء الـوحي يترقــرق في جنباته ، ورحيق العصمة يتدفق في قسماته ، فكـان كل علم قرأته قبله نسي وانتهى ، لأنه لا يقاوم كلاماً أتى من عند سـدرة المنتهى .

السـموات شـيقات ظمــــــــــــاء **والفضا والنجــــوم والأنــــــــــــواء**

لكلام من الرسـول **تتلاشى من نـــوره**

ما أحسن الضم والعنـاق ، لجملة حـدثنا عبد الـرزاق ، كلما قلت أخبرنا علي بن المديني ، حفظت ديني ، سهمي لكل مبتدع يسدد ، إذا قلت حدثنا مسدد بن مسرهد .

أشرقت أمـامي المسـالك ، كلما قـرأت موطأ مالك ، سـقيم الإرادة العلمية له علاج ، عند مسـلم بن الحجـاج ، أدْمغُ كل منحرف بذي ، بسـنن الترمـذي ، أنا في صـباحي ومسائي ، أدعو للنسائي .

هاجر المحـدثون إلى الله لطلب كلام رسـوله الأمين ، فوجدوا في أول الطريق ثواب نية الصادقين ، ووجدوا في وسطه نضرة البهاء التي دعا بها سيد المرسلين ، ووجـدوا

في آخر الطريق جنة عرضــها الســموات والأرض أعــدت للمتقين .

كل صـــاحب فن ، ينسب إلى صـــاحب ذاك الفن ، إلا المحدثون فإنهم ينسـبون ، إلى من أتى بالسـنن ، وأهـدى لنا المتن ، وتنعمت بعلومه الفطن .

ما أروع الهمم الكبـار

معروفة بــــــــــالبر

يتصـيدون كلام أكـرم

ينفـــون عنه ســـبيكة

سـافر أحمد بن حنبل من بغـداد إلى صـنعاء ، يمتطي الرمضـاء ، ويـركب الظلمـاء ، يـترك الأهل ، يدفعه الجبل إلى السهل ، تشيعه الـدموع ، يرافقه الجـوع . لأن الرجل مشـتاق، وأحد العشـاق ، لـذاك التريـاق ، من قـوارير عبد الرزاق .

دخل مكحول القرى والبوادي ، وطاف على النـوادي ، وعبر كل وادي ، يطلب حديث النبي الهادي ، فصار ريحانة الشام ، وشيخ الإسلام .

ومشى أبو حــاتم ، ألف فرسخ على الأقــدام ، لطلب حديث سيد الأنـام ، فأصبح بذلك أحد الأعلام .

تهـــون خطانا للمحب

إليكم فؤادي كـان أبـرد

المحــدثون هم عســكر الرســالة ، وجنــود البســالة ، ظهـروا على البـدع بكتـائب حـدثنا ، وسـحقوا الملاحــدة بجيوش أخبرنا .

لــولا كتابة الحــديث في الــدفاتر ، وحمل المحــدّثين للمحابر ، لخطب الدجَّال على المنابر

الله كم من أنف لمبتدع أرغم بصـحيح البخـاري ، وكم من صدر لمخالف ضاق بفتح الباري .

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين : رواية ودراية ، بداية ونهاية ، متون وأسـانيد ، صـحاح ومسـانيد ، تراجم ومعاجم .

من ركب هذه السفينة نجا من غرق الضـلالة ، وسـلم من بحر الجهالة ، ووصل شاطئ الرسالة .

انطلقت هذه السفينة من المدينة ، ربانها المصطفى ، والركـاب الصـحابة الأوفيـاء ، نحن على مائـدة المحـدثين أضـــياف ، فلعلنا نعد منهم ، لأن المضـــاف إليه يأخذ حكم المضـــــــاف ، لكل طائفة رئيس ، والمحـــــدِثّون محمد ﷺ رئيســهم ، وهم القــوم لا يشــقى بهم جليســهم ، ليتــني خسرت ذهباً مثل ثهلان ، بمجلس واحد مع سفيان .

المحدثون بيوتهم المساجد ، وعصى التســيار التوكل ، وزادهم التقوى ، وكلامهم حدثنا وأخبرنا ، ويريدون وجهه ، والمطلب الجنة ، والمقصد رضــوان الله ، والعمل الـذب عن الملة ، والنسبة محمديّون .

هـذه الطائفة : ((دعها فـإن معها حـذاؤها وسـقاؤها ، ترد الماء وترعى الشجر حتى يلقاها ربها ، في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر)) .

سلام على المحدِّثين ، ورحمة رب العالمين ، ورضوان عليهم في الخالــدين ، وجمعنا بهم في الصـــالحين ، وإلى لقاء بعد حين :

إن كـــــان قد عز في

مواقف الحشر نلقــاكم

المقـامَــة الـعـلـميّــــة

((العلمـاء ورثـة الأنبيــاء))

جعلت المال فــوق لعمــــــــــرك في
العلم جهلاً القضــية ما عــدلتا
وبينهما بنص ســـــتعمله اذا طه

العلم أشرف مطلوب ، وأجل موهوب ، والعلماء ورثة الأنبيــاء ، وســادة الأوليــاء ، والشــهداء على الألوهية ، والدعاة إلى الربوبية ، تستغفر لهم حيتـان المـاء ، وطيـور الســماء ، وتــدعو لهم النملة ، وتســتغفر لهم النحلة ، وَلاَيتهم لا تقبل العــزل ، وأحكــامهم ليس فيها هــزل ، مجالســهم عبــادة ، وكلامهم إفــادة ، يوقعــون عن رب العالمين ، ويفضلون الناس أجمعين ، وكما يُهتدى بالنجوم في ظلم الــبر والبحر ، فهم منــائر الأرض يهتـدى بهم في كل أمر ، العلم في صــدورهم ، والله يهــدي بنــورهم ، وينـزّل عليهم الرضـوان في قبـورهم ، هم حملة الوثيقة ، والشــهداء على الخليقة ، كلامهم محفــوظ منقــول ، وحكمهم ماضٍ مقبول ، بهم تصلح الديار ، وتعمر الأمصــار ، ويكبت الأشــرار ، وهم عز الــدين ، وتــاج الموحــدين ، وصــفوة العابــدين ، هم أنصــار الملة ، وأطبــاء العلة ، يــذودون عن حيــاض الشــريعة ، ويزجــرون عن الأمــور الفظيعة ، وينهــون عن المعاصي الشــنيعة ، هم خلفــاء الرسول ، ثقات عدول ، ينفون عن الـدين تأويل المبطلين ، وتحريـف الجـاهلين ، وأقـوال الكـاذبين ، مـذاكرتهم من أعظم النوافل ، ومــرافقتهم من أحسن الفضــائل ، وهم زينة المحافل ، بهم تقـام الجماعـات والجمع ، وبهم تقمع البــدع ، هم الكــواكب في ليل الجهل ، وهم الغيث يعم الجبل والسهل ، عالِمٌ واحد ، أشد على الشيطان من ألف عابد ، لأن العـالِم يُـدرك الحيل ، ولا تختلط عليه السـبل ، يكشف الله به تلـبيس إبليس ، ويـدفع الله بهم كل دجّـال خســيس ، أحيــاء بعد مــوتهم ، موجــودون بعد فــوتهم ، علمهم معهم في البيوت والأسواق ، ويزيد بكثرة الإنفاق ،

أقلامهم قاضية ، على السيوف الماضـية ، بصـائرهم تنقب في مناجم النصوص ، وعقولهم تركب الـدر في الفصـوص ، النــاس يتقاســمون الــدرهم والــدينار ، وهم يتورعــون ميراث النبي المختـار ، لو صـلّى العابد سـبعين ركعة ، ما عـادلت من العـالم دمعة ، فهم أهل العقـول الصـحيحة ، وأرباب النصيحة .

أما العلم شــرف الــدهر ، ومجد العصر ، ذهب الملك بحراسه ، وبقيت بركة العالم في أنفاسه ، فنِيَ السلاطين ، ووُسِّدوا الطين ، وخلد ذكر أهل العلم أبدا، وبقي ثنـاؤهم سرمدا ، العلم أعلى من المـال ، وأهيب من الرجـال ، به عُبِـدَ الـديّان ، وقــام المــيزان ، وبه نــزل جبريل ، على صاحب الغرة والتحجيل،وبه عرفت شرائع الإسـلام، ومُيِّز بين الحلال والحرام ، وبه وُصلت الأرحام ، وحُـلَّ كلُّ نـزاع وخصــام ، وبــالعلم قــام صــرح الإيمــان ، وارتفع حصن الإحسـان ، وبيّنت العبـادات ، وشـرحت المعـاملات ، وهو الذي جاء بالزواجر ، عن الصـغائر والكبـائر ، وفَقِه النـاس به الفــرائض والنوافل ، والآداب والفضــائل ، ونصــبت به معالم السُّـنن ، وكُشف به وجه الفتن ، ودُلَّ به على الجنة ، ودعي به إلى السـنة ، وهو الـذي سـحق الوثنية ، وهـدم كيان الجاهلية ، ونهى عن سبيل النـار ، وموجبـات العـار ، ووسائل الـدمار ، وبه حـورب الكفـرة ، وطـورد الفجـرة ، وهو من العلل دواء ، والشكوك شفاء ، ينسف الشـبهات ، ويحجب الشهوات ، ويصلح القلوب ، ويرضي علاّم الغيوب ، وهو شــرف الزمــان ، وختم الأمــان ، وهو حــارس على الجــوارح ، وبوَّابة إلى المصــالح ، وصــاحبه مهــاب عند الملـوك ، ولو كـان صـعلوك ، وحامله ممجّد مسـوّد ، ولو كـــان عبداً أســود ، يجلس به صـــاحبه على الكـــواكب، وتمشي معه المواكب ، وتخدمه السـادة ، وتهابه القـادة ، وتكتب أقواله ، وتقتفى أعماله ، وتحترمه الخاصة والعامة ، ويـدعى للأمـور العامّة ، مرفـوع الهامة ، ظـاهر الفخامة ، عظيم في الصــدور ، غــني بلا دور ولا قصــور ، الله بُغيته ، والزهد حليته ، مسامرته للعلم قيـام ، وصـمته عن الخنا صيام ، رؤيته تُذكِّر بالله ، لا يعجبه إلا الــذكر وما

والاه ، عرف الحقيقة ، وسلك الطريقة ، به تقـام الحجة ، وتعــرف المحجــة، وهو بطل المنــابر، وأســتاذ المحــابر، والمحفوظ اسمه في الدفاتر .

والعلم وســـام لا يخلع ، وهو من الملـــك أرفع ، وهو إكليل على الهامة ، ونجـاة يـوم القيامة ، ينقذ صـاحبه من ظلمـــات الشك والريبـــة ، ويخلصه من كل مصـــيبة، وهو علاج من الوسواس ، وفي الغربة رضا وإينــاس ، وهو نعم الجليس والأنيس ، وهو المطلب النفيس .

يغنيك عن المســـــومة من الخيل ، والباســـــقات من النخيل ، ويكفيك عن القنـــاطير المقنطـــرة ، والـــدواوين المعطّرة .

وحســبك كفاية عن كل بنــاء ، وعن الحــدائق الغنــاء ، والبساتين الفيحاء ، وهو الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خـيراً كثـيراً ، والمُلْـك الـذي من أعطيه فقد أعطي ملكـاً كبـيرا ، وصـاحب العلم غـنيٌّ بلا تجـارة ، أمـير بلا إمـارة ، قويٌّ بلا جنود ، والناس بالخير له شهود .

مـات القـادات والسـادات ، وذكـرهم معهم مـات ، إلا العلماء فـذكرهم دائم ، ومجـدهم قـائم ، فألسـنة الخلق ، أقلام الحق ، تكتب وتخــط لهم الثنـــاء ، وأفئـــدة النـــاس صـحف تحفظ لهم الحب والوفـاء ، كـان أبو حنيفة مـولى يبيع بزّا ، ولكنه بعلمه هز الدنيا هزّا ، وكـان عطـاء بن أبي ربــاح ، خـادم لامــرأة في البطـاح، فنـال بعلمه الإمامة ، وأصبح في الأمة علامة ، وابن المبـارك عبد اللـه، المـولى الإمــام الأوّاه ، والأعمش ومكحــول ، كــانوا من المــوالي ولكنهم أئمة فحـــول ، فـــالعلم يرفع صـــاحبه بلا نسب ، ويشرفه بلا حسب .

وإنما يحصل العلم بخدمته كلَّ حين ، وطلبه ليُعبد به رب العالمين ، وطيُّ الليل والنهـار في تحصـيله ، والسـهر على تفصـــيله ، ومذاكرته كل يـــوم ، والاســـتغناء به عن حــديث القــوم ، ومطالعة مصــنفاته ، ومدارسة مؤلفاته ،

وتقييد أوابـده ، وحفظ شـوارده ، وتكـرار متونه ، ومعرفة عيونه .

فمن طلبه بصــدق ، وحــرص عليه بحق ، فهو مهــاجر إلى الله ورسوله ، تفتح له أبواب الجنة عند وصـوله ، وهو مرابط في ثغور المرابطين ، وجواد في صـفوف المعطين ، ومــداده في الأوراق ، كـدماء الشــهداء المهــراق ، لأنه مقاتل بسيف النصوص ، قطّـاع طريق الملة واللصـوص ، وقد يقمع الله به الأشرار، ما لا يقوم به جيش جرار ، فإن الله يجري حجّته على لســانه ، ويُسيِّر موعظته في بيانه ، فينـزع الله بكلامه حظّ الشيطان من النفوس ، ويجتث به خطـــرات الزيغ من الـــرؤوس ، ويغسل الله بمعين علمه أوساخ القلوب .

وينفض بنصائحه أدران الذنوب ، فكلما بنى إبليس في الأرواح ضــــلالة جـــاء العـــالم فأزهقها ، وكلما نسج في الأنفس خيمة للباطل قام العالم فمزّقها .

صاحب المال مغموم مهموم ، خادم وليس بمخــدوم ، حــــارس على ماله ، بخيل على عياله ، وصـــــاحب العلم سعيد مسرور ، يعمره الحبـور ، ويملأ فـؤاده النـور ، تعلم من السؤدد غايته ، ومن الشرف نهايته تجـبى إليه ثمـرات كل شيء من لطائف المعارف ، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهو واقف ، يأتيه طلبة العلم من كل فج عميق ، كأنما يؤمون البيت العـتيق ، في قلبه نصـوص الشـريعة ، يـنزل عليها مــاء الفقه فتهــتزّ وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج ، فترى العالم يجول فكره في الملأ الأعلى والناس في أمر مريج ، فقلب العالم له جـولان في فضـاء التوحيد ، وقلب الجاهل في غابـات الجهل بليد ، أشـرقت في قلب العـالم مشكاة فيها مصباح ، وتنفس في نفسه نور الصباح ، أنزل من السماء ماءً فسـالت أودية بقـدرها ، فاخضـرت روضة العالم على أثرها.

صيد الكلب المعلّم حلال ، وصيد الكلب الجاهل حــرام ووبـــال ، وما ذاك إلا لشـــرف العلم حـــتى في البهــائم ، ومكانة المعرفة حتى في السوائم .

والهدهد حمل علماً إلى سليمان ، فسـطّر الله اسـمه في القــرآن ،فهو بالحجة دمغ بلقيس، وأنكر عليهم عبـادة إبليس ، وحمل من ســـليمان رســـالة ، وأظهر بـــالعلم شـــجاعة وبســـالة . فعليك بـــالعلم ، والفهم فيه الفهم ، وتصدَّق عليه بنــوم الجفــون ، وأنفِــق عليه دمع العيــون ، واكتبه في ألواح قلبك ، واستعِن على طلبه بتوفيق ربك ، وأتعِب في طلبه أقـدامك ، وأشـغل بتحصـيله أيامك ، وإذا سهر الناس على الأغاني ، فاسهر على المثاني ، وإذا وقع القـوم في الملـذات ، وأدمنـوا الشـهوات ، فـاعكف على الآيـات البينـات ، والحكم البالغـات ، وإذا احتسى العصـاة الصهباء فـاكرع من معين الشـريعة الغـراء ، وإذا سـمعت اللاهين يسمرون ، وعلى غيهم يسهرون ، فصاحب الكتاب ، فإنه أوفى الأصـــحاب ، وأصـــدق الأحبـــاب ، وإذا رأيت الفلاّح يغـرس الأشـجار ، ويفجّر الأنهـار ، فـاغرس شـجر العلم في النفــوس ، وفجّر ينــابيع الحكمة في الــرؤوس ، وإذا أبصـرت التجـار يصـرفون الفضة والـذهب ، فاصـرف الحجة كالشهب ، وأطلق الموعظة كاللهب .

يكفيك أن العلم يَدَّعيه غـــــير أهله ، وأن الجهل ينتفي منه الجاهل وهو في جهله ، يرفع العـــالم الصـــادق بعلمه على الشهيد ، لأنه يقتل به كل يوم شيطان مريد ، العــالم سـيوفه أقلامه ، وصـحفه أعلامه ، ومنـبره ظهر حصـانِه ، وحلقته حلبة ميدانه ، العـالم يفـرّ من الـدنيا وهي تلحقه ، ويــأبى المناصب وهي ترمقه ، والعلم هو العضـْـب المهند ليس ينبو ، وهو الجـــواد المضـــمّر الـــذي لا يكبو ، ولكن المقصود بهذا العلم علم الكتاب والسنة ، الذي يدلك على طريق الجنة ، وهو ما قـــادك إلى الاتبـــاع ، ونهـــاك عن الابتداع ، فـإن كسـرك وهصـرك ونصـرك ، فهو علم نـافع فإن أعجبك وأطربك وأغضبك فهو علم ضـار ، مـا كسـرك عن الدنيا الدنية ، والمراكب الوطيّة ، والشهوات الشهية ، وهصــرك عن العلو في الأرض ، ونســيان يــوم العــرض ، ونصرك على النفس الأمارة ، والأماني الغدارة ، فهــذا هو العلم المفيد ، والعطاء الفريد .

وإن أعجبك فتكــبرت ، وأطربك فتجبّــرت ، وأغضــبك فتهوّرت فاعلم أنه علم ضار، وبنــاء منهــار ، علم لا يلزمك تكبــيرة الإحــرام مع الإمــام ، فهو جهل وأوهــام ، وعلم لا يدعوك إلى الصدق في الأقوال ، والإصلاح في الأعمال ، والاستقامة في الأحوال ، فهو وبال ، العلم ليس مناصب ومواكب ومراكب ومراتب ومكاسب .

بل العلم إيمــان وإيقــان وإحســان وعرفــان وإذعــان وإتقان ، فهو إيمان بما جاء به الرسول ، وإيقان بالمنقول والمعقول ، وإحسان يجوَّد به العمل ، ويحذَر به من الزلل ، وعرفــان يحمل على الشــكر ، ويــدعو لــدوام الــذكر ، وإذعان يحمل على العمل بالمأمور ، واجتنــاب المحــذور ، والرضا بالمقــدور ، وإتقــان تصــلح به العبــادة ، وتطلب به الزيادة .

المقـامَــة السـلفـيّــة

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ ﴾

هم القــوم إن قــالوا
أجَــابوا وإن أعطـــوا
ولا يســــــــــتطيع
ولو حــــــــاولوا في

قال الراوي : نراك صاحب تحف ، فحـدثنا عن مـذهب السـلف ، ليقتـدي بـه الخلـف فملأه السـرور ، وحضـره الحبور ، وغشيه النور ، ثم أنشد :

وداعٍ دعا إذ نحن
فهيّـج أشـواق الفــؤاد
دعـا باسم ليـــــلى
أطَار بليلى طـائراً كـان

ثم قــال ذكرتمونــا خــير القــرون ، ونــون العيــون ، فحديثهم ذو شجون .

فهم أهل الاتّبـاع لا الابتـداع ، وأهل الرواية والسـماع ، والألفة والاجتماع ، نزل الـوحي بنـاديهم ، وسـارت السـنة من واديهم ، شـهدوا التنــزيل ، وعرفـوا التأويل ، قـولهم سديد ، وفعلهم رشيد ، ومنهجهم حميد ، ومــذهبهم فريد ، اعتصموا بالدليل ، وتركوا القـال والقيل ، فهم صـفوة كل جيل ، وخلاصة كل قبيل :

هم النجـوم مسـائلها
عليك عند السـيــــرى ياٍ
اتبع طريقتهم اعرف
اقـرأ وثيقتـــهم بالحـبٍ

السلف أهدى الناس سبيلا ، وأصدقهم قيلا ، وأرجحهم تعديلا .

هم أعلام يُهتدى بهم في بيــداء الضــلالة ، وهم أقمــار يستضـــاء بها في ليل الجهالة ، هم المـــوازين الصـــادقة للمذاهب ، وهم المعين العذب لكل شــارب ، وهم الرعيل المختار المقتدي به كل طالب . تركوا التشـدّق ، والتفيهق ، والتشقق ، والتحذلق ، والتمزق .

وهجــروا التعسف والتكلف ، لهم منا الحب الصــادق ، والعهد الواثق ، والإجلال والتقــدير ، والإكــرام والتوقــير ، والنصــرة والتعزير ، شــرف الله تلك الأقــدار ، وأنــزلهم منــازل الأبــرار ، وأســكنهم أجل دار ، وأحسن قــرار ، لو كتبت دموعنا على خـــدودنا لما كتبت إلا حبَهم ، لو تمنت قلوبنا غاية الأماني ما تمنّت إلا قربَهم .

أما والــــــذي شق
المحبة المحبة فيها
وحملها قلـب
ليضـــــعف عن حمل
لأنتـم على قـــــرب
أحبتنا إن غبتمـــوا أو
سِـلوا نسـمات الـريح
محِبة صبٍّ شوقـه ليس

السلف خير منا ، ارتفع قدرهم عنا ، سبقوا بالإيمــان ، وحب الديان ، والعمل بالقرآن ، ونيل درجة الإحسان ، هم أهل الهجرة والجهاد ، والصبر والجلاد ، عنــدهم خــير زاد ، ليوم المعاد ، وهم صفوة العباد . الســلف ليســوا معطلة ، ولا معتزلة ، ولا مؤوِّلة ، ولا مجهّلة ، ولا مخيّلة .

لأن **المعطلة** عطلوا البـاري مما دلت عليه الأحـاديث والآيات ، **والمعتزلة** نفـوا الصـفات **والمؤولة** أوّلـوا ما أتت به النصوص الواضحات ، **والمجهلة** قالوا إن الرسل

ليس عنـــدهم إلا تخيلات ، فضـــلّ الجميع في العقليـــات ، وجهلوا النقليّات ، فهـدى الله أهل السـنة لأحسن الأقـوال في الظنيات واليقينيات ، والصفات ، والذات .

والسلف ليسوا خوارج أقوالهم كفرية ، وليسوا جبرية ، ولا قدرية ، ولا أشعرية .

لأن **الخوارج** كفّروا بالكبيرة ، وأخرجـوا المسـلم من الـــدين بـــالجريرة ، وحملـــوا السـيف على أئمة الحيف ، وخلدوا الفاسق في النار ، مع الكفـار ، **والجبرية** قـالوا : إن العباد جبروا على الـذنوب ، وقهـروا على معصـية علام الغيوب .

والقدرية قـــالوا لم يســـبق القـــدر علم ولا كتـــاب ، والأمر مستأنف خطأه والصواب .

والأشـعرية أثبتـوا الأسـماء وسـبعاً من الصـفات ، وأوّلوا الباقيات ، ولهم مقالات زائفات ، **والسلف** قـــابلوا النصوص بالإذعان والتسليم ، والتوقير والتكريم ، فأمرُّوها على ظاهرها كما جاءت من غـير تمثيل ، وقبلوها من غـير تعطيل ، وعرفوها من غـــير تكـــييف وفهموها من غـــير تشبيه ولا تزييف .

وأنا إلى الســـلف انتسب ، لأنـــني رضـــعت منهجهم ويحـــرم من الرضـــاع ما يحـــرم من النسب ، والمبتدعة ليسوا منا ولا إلينا ، لأن البقر تشابه علينا .

إذا أتاني كتاب مختـوم ، عليه توقيع المعصـوم ، لثمتُه بـدموعي وأنفاسي ، ووضـعته على راسي ، وقلت سـمعاً وطاعة ، لصاحب الحوض والشفاعة .

وإذا جاءني كتاب بالباطل منمرق ، وبالبدعة مزمرق ، وبالبهتان ممخرق ، مزقته كل ممـزق . واعظ الله في كل سريرة ، فإذا ألقيت قميص يوسف على يعقوب البصيرة . عـــاد القلب بنـــور الـــوحي بصـــيرا ، وارتد طـــرف الباطل حسـيرا ، وانفل حد الـزور كسـيرا . سـلام على السـلف ، من الخلف ، ما غرد حمام وهتف ، وما حَنّ حـبيب لحـبيب

وعطف ، وما رقص قلب صب ورجف ، وما همع دمع ونزف .

جمـرك البضـاعة بختم محمد ، واكتب على البطاقة لا يســتبدل ولا يجــدد ، واقــرأ على الكيس خــرج من مدينة الرســـول ، وحامل الكيس هو المســـئول ، واحـــذر من التزوير ، فإن موزع البريد بصـير، وقـارئ الرسـائل خبـير، إذا طلع فجر البشـرى من المدينة أذّنّـا ، وإذا رأينا الـركب من طيبة أعلنّا ، وإذا سمعنا الهتاف المحمــدي أمنّا ، وكلنا حول رايته دندنّا .

خـــبز كـــانون الرســـالة أبيض ، لا يأكله كل معـــرض ، الدقيق بالصدق مطحون ، فلا يأكلـه المبطـون ، مالك ؟ لا تهتــــدي في المســـالك ؟ وتقع في المهالك ، نناديك إلى أحمد بن حنبل ، فتــذهب إلى أحمد بن أبي دُؤاد المعطّل ، ونقول رافق إبراهيم بن أدهم ، فــترافق الجعد بن درهم ، تهجر الصادق السلفي يحيى بن معين ، وتصاحب ابن سينا ، وابن سبعين ، ويعجبك كلام ابن الراونــدي اللعين ، عليك بمجلس مالك وسـفيان ، واهـرب من الجهم بن صـفوان ، عندنا حمـاد بن زيد ، وعنـدهم عمـرو بن عبيد ، احـذر من الكشاف ، فإنه ليس بكـاف شـاف ، وأحـذرك الفصـوص ، فإن بين أسطره اللصـوص ، السـلف أبريـاء من الاختلاف واللّجاج ، وظلم الحجّاج ، وخرافات الحلاّج .

السـلف أطهر من مـاء الغمـام ، وأزكى من المسك والخـــزام ، حســـبهم تزكية الملك العلاّم ، جمعنا الله بهم في دار الســلام ، هجــروا العلــوم المنطقية ، والقضـــايا السفســـــطية ، والعقائد القرمطية ، ولزمـــــوا الطريقة الوسطيّة .

السـلف صـادقون لا يكـذبون ، عـدول لا يظلمـون ، وسيعلم الذين ظلمـوا أي منقلب ينقلبـون ، ولهـذا أمر أبو بكر الصـديق بقتل مسـيلمة الكـذاب ، فمُـزق بالحِــراب : عندنا خالدان : سيف الله خالد بن الوليد ، وخالد القسري ذو البطش الشـــديد ، فخالد ذبح مســـيلمة في اليمامة ، وخالد نحر الجعد بن درهم وهو في محراب الإمامة .

لدينا أحمدان ، ولديهم أحمدان ، صـادقان ، وكاذبـان ، عنـــدنا أحمد بن حنبل ، إمـــام الســـنة المبجل ، وعلامة الحديث المفضل ، وأحمد بن تيميّة ، مجدد الأمة الإسلامية ، صاحب التدمرية والحمويّة .

وعنـدهم أحمد بن أبي دُؤاد ، صـاحب البدعة والعنـاد ، والخلاف والفساد ، وأحمد غلام مرزا قاديان ، حامل الزور والبهتان ، والدجل والطغيان .

عندنا حمادان ، وعندهم حمادان ، عندنا حماد بن زيد ، الراوية المفيد ، والمحــدث المجيد ، وحمــاد بن ســلمة ، نصب للصــدق علمه ، وأجــرى في العلم قلمه ، وعنــدهم حماد عجرد ، الشـاعر المعربد ، والضـال الملحد ، وحمـاد الراوية ، صاحب الأفكار الخاوية ، أمه هاوية .

لشـــــــتان ما بين
يزيد بن عمــــرو والأغر المقامَة
فهمٌّ الفـــتى الأزدي
وهمٌّ الفـــــتى القيسي

الســـلف كـــالعيون ، علاجها أن لا تمس ، وكالـــدرر جماله أن لا يــدس ، والســلف كالمــاء الــزلال فلا تشــوّبه بالطين ، وكلامهم مبارك متين ، لا يفهمه إلا فطين .

الســلف أعلم ، وأحكم ، وأســلم ، وأحلم ، وأكــرم ، والمبتدعة أظلم ، وأغشم ، وأشـــــأم ، وأجــــرم ، قل لا يستوي الخبيث والطيب ، والقحط والصيّب .

الـــذباب إذا وقع في الإنـــاء ، فاغمسه فـــإن في أحد جناحيه داء ، وفي الآخر دواء ، وإذا وقع المبتــدع في إنــاء الســنة النبوية ، فاهرقه بالكلية ، لأن في جناحيه كلها بلية .

الكلب المعلّم كُــل ما صــادَه ، لأنه جعل العلم زاده ، وإذا جاءك المبتدع بصيد ، فقل حرام صـيدك يا بليد ، لأنك مفسد رعديد .

بشّر من سبّ السـلف ، بكل تلف ، مـزّق الله قلبـاً لا يحب الأسلاف ، وأزهق الله روحاً تهـوى المبتدعة الأجلاف ، نفس لا تحـترم السـلف مريضة ، وروح لا تـوقّر السـلف بغيضة . جـزاء علمـاء الكلام الجريد والنعـال ، والسـياط الطوال ، والقيد والأغلال ، لأنهم اشتغلوا بالقشور وتركـوا اللباب ، وفارقوا السنة والكتاب ، وخالفوا الأصحاب .

السلف : موحدون مسدّدون ، مقتصدون ، عابـدون ، مجاهدون ، زاهدون ، متحدون ، متوادون ، متهجدون .

والمبتدعة : متفرقـون ، متحـذلقون ، متنطعـون ، متفيهقـون ، متشـدقون ، قلقون ، متمزقون.

نـوح الهدايـة ، ينـادي ابن الغوايـة : اركب معنـا ، فـإن القارب يسعنا ، فقال الهبل : سـآوي إلى جبـل ، ومـا علم أن أعظم جبل ، إتباع سيد الرسل ، وطاعة الملك الأجل ، والعمل بما نزل .

المقـامَـــــة الـيوســفـيّـــة

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾

كــــأن الثريـــــا علقت

وفي جيـــده الشـــعرى

ولــو نظــرت شـــمس

لقـالت معـاذ اللـه مـا

كنا نجلس كـل يـوم ، مـع قـوم ، ينتقـون من الحـديث درره ، ويذكرون لنا العالم بحره وبرّه . فدَلِف علينـا يومـاً من الأيام ، شيخ ممشوق المقام ، كثير الابتسـام ، فصـيح الكلام ، فنظر في وجوهنا وتوسّـم ، ثم تبسّـم وسـلّم ، ثم جلس واتكى ، وتأوّه وشكى .

قلنا: ما الخبر ، أيها الشيخ الأغـر ؟ قـال : تـذكرت من غبر ، أهل الأخبار والسير ، فعلمت أننـا بـالأثر ، قلنـا : مـا الاسم ، فقد أعجبنا الرسم .

قال : أنا عبيد الله بن حسان ، من أهل ميســان ، قلنا : كلامك محبــوب ، فقص علينا قصة يوسف بن يعقــوب ، فقال : مهما اهتم العالم بالحفظ وحرص ، لكن الذهن فتر والخـــاطر نكص . وكفى بقصص الله وهو يقـــول : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْــكَ أَحْسَـــنَ الْقَصَــصِ ﴾ ، لكن ســوف أخــبركم بوقفات ، والعفو عما نسيناه وفات .

لما نصح يعقـــــــوب يوسف أن لا يقص ما رأى ، لأنه يخشى عليه ما جـــــرى ، فإنه ما خلا جسد من حسد ، وكم من قلب بنعم الغـــير فسد ، فيا أيها العبد اســـتر جمال يوسف النعم ، خوفــاً من أن تلقى في غيابة جب النقم ، فيسلط عليك ذئب البغضاء ، لا ذئب الصحراء :

عوى الــذئب فاستأنست

وصـوّت إنســان فكـدت أ المقامَة

- لا تعتـذر للمخـالف ، فيأخذ العـذر منك وأنت واقف ، أما ترى يعقوب ، يوم خاف على ابنه الخطوب ، قـال : أخاف أن يأكل الذئب يوسف ، فقـالوا : أكله الـذئب فلا تأسف ، فكأنهّ هيأ لهم الحجة ، حينما ضلوا في المحجّة .
- وجــاؤا على قميصه بــدم كــذب ، لأن الــذئب ما خلع الثوب ، بل شقه وسحب ، والــذئب لا يفتح الأزرار ، بل يمزقها بلا وقار :

يا ممعنا في السـوء   لا ينفع التهـــــذيب

- لو علمت القافلة بمكانة يوسف : ما قالوا : يا بشـرى هذا غلام ، بل لقالوا : يا بشرى هذا إمام ، وولي مقدام ، وسيد همام ، ولكن وما أدرى الليل ببدر التمام
- يوسف لديه جمـال وجلال ، فردعه وازع الجلال ، عن نوازع الجمال ، لما قال : معاذ الله ، حماه ربه وتولاه .
- لو ترك يوسف كلمة اذكــرني عند ربك وذكر هو ربَّه ، لكشف كربه ، وأزال خطبه ، وأسعد قلبه .
- يوسف ما نسي إيمانه ، سُـــئل عن الـــرؤى وهو في الزنزانة ، فدعا إلى التوحيد ، لأن التوحيد حيــاة العبيد ، لا يرده قيد ولا يمنعه حديد .

قد قلت للـــــذئب الـــوفي لصـــحبهِ   يا صـاحب الأظفـار والأنيـــــــــابِ

أأكلت يوسف في العــــــراء بخلسة   ودم النبــوة ســال في الأثـــــــوابِ

فأجــابني والله لم أهمم ...   هذا معـاذ الله غـير ...

- الـــذئاب ما تأكل الأنبيـــاء ، ولا تلطخ أفواهها بـــدماء الأولياء ، لأنهم أصفياء أوفيــاء وإنما يقتل الأنبيــاء ذئـاب الخليقة ، إذا عميت عليهم الحقيقة ، وأظلمت عليهم الطريقة:

الذئب أكرم عشـرة من ثلة **خـــانوا عهــود مــودة الإخوان**

في سورة يوسف قميص بـريء من الـذئب ، وقميص بريء من العيب ، وقميص مضمخ بالطيب .

فـــــالأول : قميص يوسف وقد مزّقه الإخـــــوان ، **والثـــاني :** قميصه وقد مزّقته امـــرأة الســـلطان ، **والثـالث :** قميصه وقد ألقي على يعقـوب فأبصـرت العينان :

كــــأن كل نــــداء في أ

قميص يوسف في أ

لما قال إخوة يوسف له : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ، نسـوا أنهم هم الـذين أوقعـوه في هم كثـير ، فهو بسـبب ما فعلوه في حزنه أسير ، وفي بيته كسير ، فهم يحتجـون به وقت الحاجة ، وينسونه وقت اللجاجة .

لما قال يعقوب : لا تدخلوا من باب واحد ، لأنه خـاف الحاسد ، فهو في مكـان النعيم قاعد ، فـإذا أقبلـوا في حملة ، قتلهم جملة ، فَعمِّ على الحســـود الأمر ، لتضع في عينيه الجمر .

الدنيا وجهها نحس ، يبـاع يوسف بثمن بخس ، وحـزن يعقـــوب يكـــاد يـــذهب بـــالنفس ، والفراعنة بملكهم يفرحـــــون ، وفي دنيــــاهم يمرحـــــون ، وفي نعيمهم يسرحون لكن انظر إلى العـواقب ، عنـدما تكشف عن الأولياء النوائب ، وتزول عنهم المصـائب . فـإذا الفرحة الغامرة ، والحياة العامرة ، و النعيم في الآخرة .

أما الفجار ، فسحابة نهار ، وراحة حمار ، ثم نكال في أسوء دار .

هَمَّ يوســفُ هَمّة ، فتــذكر علو الهمة ، وإمامة الأمّة ، ففر إلى البــاب ، يطلب الطريق إلى الوهــاب ، بعد ما هـيئت له الأسـباب ، لأن يوسف من سـلالة الأطيـاب ، فتاب وأناب .

 يوسف شـاب ، من العـزاب ، تعرّضت له امـرأة ذات منصب وجمـــال ، وحسن ودلال ، فغلقت الأبـــواب ، ورفلت في أبهى الثياب ، فتذكر يـوم القيامة ، وسـاعة الندامة ، فقـال : أواه معـاذ الله ، فمنعه الله وكفـاه ، وأنت تتعرض للنساء صباح مساء ، غرك الوجه المبرقع ، والحسن المرقع ، ولا تحذر وتتوقّع .

هب أن نظرتك الــتي أرســلتها **عـــادت إليك مع الهــوى بغـــزالي**
نظر المهيمن فيكٍ **فخف العظيم** المقامَة

 في قلب يوسف من الوحي نصــوص ، وفي قلبك من المعصــية لصــوص ، في شــرايين يوسف دمـاء الإمامة والدين ، وفي شرايينك شهوة الماء والطين .

 يوسف تخــرج من جامعة وَأَمَّا مَنْ خَـافَ مَقَـامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، وأنت تخــرجت من جامعة : **يشكو العيون السود قلبي والهوى** .

لشـــــتان ما بين يزيد بن عمــــرو

 يوسف تربيته على شريعة ، وأخلاق رفيعة ، وبعضـهم يربى على مجلات خليعة ، وآداب شنيعة .

 وا أســـفي على منهج يوسف ، في هـــذا الواقع المؤسف ، صــورة عارية ، وكـأس وجارية ، وشــهوات ســـارية ، كلها تقـــول : هيت لك ، وليس عند الجيل صـــــــــــــــــــــــــــرخة معاذ الله .

 الآن حصحص الحق ، وبان الفرق ، فيا شباب الصـدق ، قولوا في أحسن نطق : معاذ الله . من أراد السـناء ، والثنـــاء ، والعليـــاء ، وأن يحمي نفسه من الفحشـــاء ، والفعلة الشنعاء ، فليحفظ متن الأولياء : معاذ الله .

من عاذ بالله أعاذه ، وأكرم ملاذه .

المقـامَــــة الـسـليمـانيـــة

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

حتى سليمان ما تم الخلـــــــــــود له **والـــــريح تخدمــــه والبـــــدو والحضر**
دانت لـــــــه الأرض فـــزاره المــوت لا

ما مر من قديم الزمان ، ملـك كملـك سـليمان ، فقـد علم منطـق الطـير بلا ترجمـان ، وقـد اجتمعت في غيبتـه الحيوانات والطيور ، في يوم فرح وسرور ، وهناء وحبور ، فقالت البهائم للأسد : أيها الأمـير ، اجلس على السـرير ، فإنك أبونا الكبير ، فتربع جالساً ، ثم سكت عابساً ، فخاف الجميع ، وأصبحوا في موقف فظيـع ، فقـام الحمـار ، أبـو المغوار ، فقـال : يـا حيـدرة ، سـكوتك مـا أنكـره ، فقـال الأسد : يا حمار البلد ، يـا رمـز الجلـد ، سـكتُ لأن الثعلب غاب ، وقسماً لو حضـر لأغـرزن في رأسـه النـاب ، فقـام الـذيب يتكلم وهـو خطيب مصـيب ، فقـال للأسـد : يـا أبـا أسامة ، إن الثعلب قليل الكرامة ، عديم الشهامة ، فليتك تـورده الندامــة ، فهــو لا يسـتحق السـلامة ، وكـان أحــد التيوس مـع الجلـوس ، فانسـل إلى الثعلب فوجـده يلعب فقــال : انتبــه أيهــا الصــديق ، فــالكمين في الطريــق، إن الأسد يتوعـدك بالـذبح ، فاجتهـد معـه في الصـلح ، فقـال الثعلب : فمن الذي دهـاني عنـده ، وغـير علي وده ، قـال الـتيس : هـو عـدوك وعـدوي ، الـذي في وادٍ يـدوي ، هـو الذيب الغادر ، صاحب الخيانـة الفـاجر ، قـال الثعلب : أنـا الداهية الـدهياء ، لأنـثرن لحمـه في العـراء ، أمـا سـمعت الشاعر أحمد ، إذ يقول في شعر مسدد :

الــرأي قبل شـجاعة الشـ[...]
هو أول وهي المحل الثـ[...]

فلما حضر الثعلب إلى الأسد ، ودخل مجلسـه وقعـد ، قال أبو أسامة ، والثعلب أمامه : ما لـكَ تـأخرت يا بليـد ، تالله إن الموت أقرب إليك من حبل الوريد .

قال الثعلب : مهلا أبا أسـامة ، أبقـاك اللـه للزعامـة ، سمعت أنك مريض ، فـذهبت إلى البلـد العـريض ، ألتمس لك دواء ، جعله الله لك شفاء ، قال : أحسـنت ، وسـهلت عليّ الأمـر وهـونت ، فمـاذا وجـدت ، قـال : وجـدت أن علاجك في كبد الذيب مـع حفنـة من زبيب ، فقـال الأسـد للذيب ، أمرك عجيب ، وشأنك غريب ، علاجي لديك ، وقد سبق أن شكوت عليك ، فلما دنا الـذيب واقـترب ، سـحبه الأسد فانسحب ، فخلع رأسـه ، وقطـع أنفاسـه ، ثم سـلخ لبـده ، وأخـرج كبـده ، فصـاح الغـراب ، وهـو فـوق بعض الأخشاب ، يا أبا أسامة ، ما تترك الظلم والغشـامة ، فـرد عليه الأسد ، اسـكت سَـدّ اللـه فـاك ، أنسـيت أنـك قتلت أخاك ، ودفنته في تراب ، ما أقبحك من غراب .

قال الغراب : يا ظلوم يا غشوم يا مشؤوم . أنـا الـذي دل على بلقيس يا خسـيس ، وجيت سـليمان ملـك الإنس والجـان ، بنبـأ من سـبأ ، وحملت الرسـالة في بسـالة ، ودعـوت للتوحيـد ، وهـو حـق اللـه على العبيـد ، فبلقيس أسـلمت بسـببي ، وحسـبي معـروف ونسـبي ، ثم أنشـد الغراب :

ولقد حملت رسـالة
يهـدي سـليمان بها
فوضـعتها في حجرها
كـانت تقـدس شمسـها

فأعرض أبو أسامة ، وقطع كلامه ، وإذا بحية لها فحيح ، أقبلت تصيح ، قد ذبل شعر رأسها وشاب ، وما بقي لهـا إلا ناب ، فقال الأسد : من بالباب .

قالت الحية : أنا أم الجلباب ، فقال : ما اسمك يا حية ، وما معك من قضية ، قالت : اسـمي لس ، وخـبري على ظـاهر فقس ، أنـا كنت اسـكن ، في قريـة من قـرى

فلسطين ، رأسي في المـاء ، وذنـبي في الطين ، فعصـى أهـل القريـة خـالقهم ، وكفـروا رازقهم ، فسـاقني إليهم ، وسلطني عليهم ، فقـذفت في بـيرهم من سـمي زعافـا ، فماتوا آلافاً ، وهلكـوا أصـنافاً ، وردم اللـه عليهم القريـة ، لأنهم أهل فرية .

فلما ملك سليمان ، اختفت القرية عن العيـان ، فـأراد أن يـرى القريـة رأي العين ، فاسـتدعى الريـاح في ذلـك الحين ، فقال للريح الشمالية ، هـبي قويـة ، وأخـرجي لنـا تلك البئر المطوية ، والقرية المنسية ، قالت : يا نبي اللـه أنا أضعف من ذلك بكثير ، أنـا خلقـني ربي لتلقيح الثمـار ، بقـدرة القـدير ، فقـال للغربيـة : أنت لازلت فتيـة ، فهـبي على هذه الدار ، لنرى ما تحتها من الآثار ، قالت : يـا نـبي الله ، أنا خلقني ربي لتلطيف الهواء ، وتبريد الماء ، ولكن عليك بالدبور ، فإنها التي أهلكت كل كفور .

فقال سليمان : أيها الدبور ، بأسك مشهور ، وبطشـك مذكور ، فأخرجي لنا القرية المنكوبة ، لنرى كل أعجوبة ، فهبت ولهـا هريـر ، وزلزلـة وصـرير ، فـاقتلعت الـتراب والحجر ، ونسفت الشجر ، حـتى خـرجت القريـة واضـحة المعالم ، كل شـيء فيهـا قـائم ، فوجـد الحيـة في البـئر ، بناب واحد صغير ، فسمى القرية باسم البئر وناب الحية ، فصار اسمها نابلس كما في السيرة المرويّة .

فقال الأسد للحمامة ، يا أم يمامـة ، حـدثينا عن ملـك سليمان ، فلن يملك أحد مثله إلى يـوم القيامـة ، قـالت : حباً وكرامة ، يا أيها الهزبر ، ليس الخَبَر كالـخُبْر ، اعلم أنه ما أصبح يفرح بالملك بعد سليمان ، لمـا أعطـاه اللـه من الملـك والسـلطان ، ملـك الإنس والجـان والطـير والحيوان ، وكلم الوحوش بلا ترجمان ، بـنيت لـه القصـور من القوارير ، ونحتت له من الجبـال المقاصـير ، وخـزنت له في البحر القناطير ، وسخر الله له الرياح ، تحملـه كـل صباح ، فملكه فوق ما يصفه الواصفون ، ولا يعلم ذلـك إلا العارفون :

ما عاد يفرح بالولاية

أبــدا ولا يهــني بعيش

دنيا متى ما أضـحكت

أبكت غـداً من قاتل أو

ثم مــرت النملــة تقفــز قفــزا ، وتهمــز همــزا ، وهي تقول : أما علمتم بخبري المنقول ، أنا التي كلمها سليمان ، وأعطاها الأمان ، وسجلت قصتي في القرآن ، أمــا قلت للنمــل ، ادخلــوا مســاكنكم ، واحفظــوا أمــاكنكم ، ثم أنشدت :

لا تحقـــرنَّ صـــغير	**بالجسم يبلغ آفاقا**
الجسم تحســـــــبه	**وأمجــــــــــادا**
لكنها همم تســـــمو	**وهمــتي ذِكــرت بني**

ثم مر الكلب ، رمز السلب والنهب ، قال : يا جماعة ، اسمعوا مني ساعة ، فأنـا مقصـود بالمـدح والهجـاء ، ومـا زالت الأشراف تهجو وتمدح كما ذكر صاحب الإنشاء ، فأنا أصيد الصيد ، وأقيده بقيد ، وحفظي للبيت سديد ، وبأسي لصاحبي شديد ، لكنني دائمـا بخس محـدث ، كمـا ورد إن تحمـل عليـه يلهث ، فلي إصـابات وغلطـات ، والحسـنات يــذهبن الســيئات ، فلا تظنــوا أني آيــة في الخساســة ، ومضــرب المثــل في النجاســة ، بــل انجس مــني ، وهــذه فائدة خذها عني ، من ترك العمل ، بلا علم ، وأعرض عن التقــــوى بعــــد الفهم ، وأســــرف في الظلم . ثم انفض المجلس وقد امتلأت بالأنس الأنفس .

واعلم أيها الملهم أن سليمان أعظم من ملك من بني الإنسان ، وأقصر رسالة في الحـديث والقـديم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

المقـامَــــة الـحُسَــينـيّـــة

﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾

مرحباً يا عراق جئت أغنيـــــــــــــــــــ ـك وبعض من الغناء بكــــــــــــاء

فحـــراح الحســـين ... وبصدري من الأسى ...

أنا سُنيّ حسينيّ ، جعلت تـرحمي عليه مكـان أنيـني ، أنا أحب السبطين ، لكني أقدم الشيخين ، ليس من لوازم حب الشمس أن تكره القمر ، ومـوالاة الحسن والحسـين يقتضي مـــــــــوالاة أبي بكر وعمر ، لأنه يحبهم ويحبونه ، ويحترمهم ويحترمونه .

قاتل الله عبيد الله ابن زيــــاد ، يحـــــرّج على رؤوس العظماء في سوق المزاد .

الحسين لا يمجد بضريح ، ولا بالإسـراف في المـديح . لكننا نصدق في حبه ، إذا اتبعنا جَدَّه ، وحملنا وُدَّه ، وليس بأن نعكف عنده .

بعض الناس ذبابة ، يجفو القرابة ، ويسب الصحابة .

عظماؤنا ما بين مقتول ومذبوح ، ومسجون ومبطوح ، ومضروب ومجروح .

وما مــــات منّا سـيّد ...

ولكن بحد السـيف في ...

يا صــاحب الفطن ، تريد أن تــدخل الجنة بلا ثمن ، يا من يريدون الغروس والعروس، ابذلوا النفـوس ، وقـدموا الرؤوس .

تريد شراء الجنة بصاع من شعير ، وهو لا يكفي علوفاً للعـير ، ولا فطـوراً للبعـير ، إذا نـاداك المسـكين ، كأنه طعنك بسكين ، وأنت تتمـنى على الله الأمـاني ، وتشـتاق لمثل تلك المغاني . أنت من سنين ، تبكي على الحسين ، من يحب الحسين بن علي ، فليطع الولي ، هـذا هو الحب الجلي .

أنت مثل شيخ فزاره ، حينما قطع أزراره ، قالوا مالك ، قـــال : أفـــدي بها أخي أبا عمارة .

جــاؤا برأسك يا ابن بنت محمد ... متـزمــــلاً بدمائه تـــزميلا

ويكبرون بــأن قتلت وإنما ... قتلــوا بك التكبــير والتهليلا

أنا أعلن صرخة الاحتجاج ، ضد ابن زيـاد والحجـاج ، يا أرض الظالمين ابلعي ماءك، ويا ميادين السفاحين اشربي دماءك .

آه ما أطوله من يــوم للقتله ، إذا جــاء المقتــول ومن قتله ، في يوم لا يكــون الحــاكم فيه إلا الواحد ، ولا المُلْك إلا للماجد ، وقد خاب فيه الجاحد المعاند .

الحســين شـــهيد ، على رغم أنف العنيد ، ما قتل وما نهب ، وما ظلم وما سلب .

وقد أخطأ ابن خلـــدون حينما نقل أن الحســـين قتل بسيف الشريعة ، وهذا النقل من الأمور الشنيعة ، بل قال شيخ الإسـلام ، علم الأعلام : قتل الحسـين بسـيف الظلم والعدوان ، وقتله مصيبة يؤجر عليها من اســترجع من أهل الإيمـــان : إنا لله وإنا إليه راجعـــون ، وإنا لرســـوله عند المصائب لتابعون .

ألا إن عينا لم تجد ... عليك بغــالي دمعها

إن كـان قَتْل الحسـين من العـدل ، فقد ألغى مـدلول النقل والعقل ، وما عـــاد في الـــدنيا ظلم ، وما بقي في الأرض إثم ، وإذا احتاج إثبات النهـار إلى كلام ، فقل على الدنيا السلام .

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

في كــربلاء ، كــرب وبلاء ، على ثراها قلب ذكي ، ودم زكي .

كـــــأن قتلك يا ابن الطيـــــــبين لنا ... ســــــيف من البغي في الأعناق مشهورُ
كأنما دفنوا الإسلام ... من المصــــــــاحفِ

الحســـين ليس بحاجة إلى مـــآتم ، وولائم ، تزيد الأمة هزائم إلى هزائم .

الحســـين على نهج جـــده محمد ، وعلى مـــذهب أبيه المسـدد ، تقـوى تمنع من الانحـراف ، وعَـدْل يحمل على الإنصاف . ولو أن الحسين صاحب دنيا ، لما بكينا ، ولو أنه طالب جاه ما اشتكينا ، لكنّه من الـبيت الطـاهر ، صـاحب النسب البــــــــــاهر ، أمانته رصــــــــــــينة ، وأخلاقه حصينة .

عفـــــــاء على دنيا رحلت لغيرها ... فليس بها للصـــالحين معـــرّج
كـــــــدأب عليٍّ في ... أبي حسـن والغصن

صح الخـبر في الســنة ، أن الحسن والحسـين سـيّدا شباب أهل الجنة ، فـإذا قتل السـيد كيف حـال المسـود ، وضحية الحاسد هو المحسـود ، وقـال جـدهما المعصـوم : هما ريحانتــاي من الــدنيا ، فهم بهــذه التزكية في الدرجة العليا ، والريحانة تشم ولا تقطع ، وتمسح ولا تقلع ، جاءوا بالرأس إلى ابن زياد في العـراق ، والـدم مهـراق ، ثم لم تبك للظلمة عيون ، ولم تتحرك شجون ، وهذا برهان على أن قلوب الظلمة كالحجارة ، وأن نفوسهم ملأت بالمرارة .

إذا لم تبك من هذي الرزايا ... ولم تفجَعْك قاضـية القضـــــــــايا
فمت كمداً فما في ... إذا جمع البرايا

لما أغمد سيف الجهاد ، سـله ابن زيـاد ، على العلمـاء والعباد . لو كانت الأمة شـاركت في قتل الحسـين لكـانت ظالمة ، ولو رضيت بذلك لأصبحت آثمة ، وقعت الأمة بين فكي زيـاد ويزيد ، يدوسـون الجمـاجم ويقولـون : هل من مزيد ، وتصـــفق له أراذل العبيد . ليل الحســـين صـــلاة وخشوع وبكاء ، وليلهم رقص وطرب وغناء ، نهار الحسين

تلاوة وذكر وصـيام ، ونهـارهم لهو وعشق وغـرام . ولهـذا وقع الخلاف وعدم الإنصاف .

إذا عَيّر الطائـــــيَّ بالبخـل ما درٌ   **وعيَّر قِسّـــــاً بالفهاهــة باقـــلُ**
وقـــال الـــدجى للشـــمس أنت   **وقال السهى للبـدر وجهك حائـــلُ**

يا أهل العقول ، إن قتل سبط الرسـول ، وابن البتـول ، أمر مهول ، فلا تخـبروا أعـداء الملة ، بهـذه الزلة ، فإنها للأمة ذلة . الحسـين ليس بحاجة إلى وضع أشـعار[المقامة] ، ولكن إلى رفع شعار ، دعنا من ترديد القصيد ، والتباكي بالنشيد ، ولكن تابع الحسين في تجريد التوحيد ، وتوقير الشـيخين أهل الرأي الرشيد .

العظمـاء يقتلـون بالسـيف أعـزاء ، والظلمة يموتـون على فرشـهم أذلاء جبنـاء ، فالعظيم قتل بتذكية شرعية ، والجبان مات ميتة بدعية . ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ﴾ .

تـــأخرتُ أســتبقي الحيـــاة فلم أجد   **لنفسي حيـــاة مثل أن أتقـــدما**
وليس على   **ولكن على أقــدامنا**

فاتت الحسـين الشـهادة في بـدر لأنه صـغير ، فعوضه الله بها في صــحراء العــراق وهو كبــير ، الرجل يريد أن يكتب اسمه بدم ، وهو يحب الـبيع لا السَّـلم ، ومن يشـابه أبه فما ظلم . الذين ينوحون على الحسـين ويقولـون قتل وهو مظلوم ، قلنا هذا أمر معلـوم ، ولكن كفـاكم بالنياحة جهلا . فهل كـان قتل عمر وعثمـان وعلي عـدلا ، النياحة في الـــدين غـــير مباحة ، لأنها مخالفة للمـــأمور ، وفعل للمحظور ، وتسخط بالمقدور ، لو لم يقتل الحسين لمات . أفتنوحون عليه وقد كسب عز الحياة . وسعادة الوفاة .

علـــوٌّ في الحيـــاة   **بحـــقٍ أنت إحـــدى**

من أحب الحســين فليفعل فعله في حفظ الـــدين ، وكراهية الظالمين ، وحب المساكين

قتل الحسـين دليل على عظمة الإسـلام ، لأن مهـره رؤوس تقطع ، وأرواح تدفع ، وضـريبته دم يسـيل ، ورأس في سبيل الله يميل ، الإسلام كالأسد همته ليست سخيفة ، ولـذلك لا يأكل الجيفة ، لعظمة الشـمس أصـابها الخسـوف ، ولجلالة القمر رمي بالكسـوف ، والعظمـاء غرض للحتوف :

قل للـذي بصـروف الـدهر عيّرنا ... هل حارب الـدهرُ إلا من له خطـرُ

أما تــرى البحر تعلو فوقه جيف ... وتسـتقر بأقصى قعـره دررُ

رحم الله السـبطين ، الحسن والحسـين ، وعليا وفاطمة أكرموا الدين .

والصلاة والسلام على خاتم المرسـلين ، وآله وصـحبه أجمعين .

المقـامَــة الـتيميّـــة

 وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ

علامة العلمــــــاء لا ينتهي ولكل لج
والبحر الـــــذي ســـــــــــاحلُ
افخر فـان النـاس مستعظم أو حاسد

قال الراوي نـراك مـتيّم بابن تيميّة ، تـذكره باليوميّـة، ولك إليه ميل وحميّة ، فقـــال : ليس عـــروس إلا بمهر ، وحديثنا عن ابن تيميّة غدوّه شهر ورواحه شـهر ، وحسـبك أنه عـالم الـدهر ، ألّف الواسـطيّة فـذبت في حبها ، ودبّج الحمويّة فتذوّقت من لبِّها ، وجمع التدمريّة تدمّر كل شيء بـأمر ربها ، آه يا أحمد ابن تيمية ، يا من اهتـدى بسـميِّه ، فنصر الســنة وهــزم الجهميّة ، بــذل للطــالبين بحــره ، وعـرّض للسـيوف نحـره ، ابن تيميه بطل ، هـزّ الـدول ، وأتْبع القول العمل .

رأيـته فرأيت النــاس كــالفجر في شــرفٍ
في رجـــــــــــلٍ والـــدر في صـــدفِ
حروفه كشــــــعاءٍ ألفاظـه قلت هــــذا

ابن تيمية للشــريعة ابنٌ بــارّ ، هجر الــدرهم والــدينار ، وهو لأعـداء الملة سـيف بتّـار ، جنته في صـدره ، لأنه وحيد عصـره ، وفريد دهره ، وقتله شهادة ، لأنه مجتهد في العبادة ، كثير الإفادة ، أرهب عبـدة الأصـنام ، وأذل خصـوم الإسـلام ، وسـلّ على كل ملحد الحسام، كلامه شهب ، وردوده لهب ، وألفاظه ذهب .

له موقفٍ يحمي به
تشيد به الركبـــان في البـــدوِ
أقام عمود الدين بالنور
وســـلّ حســـاماً فاتك الوقع بـــــــــــــالكفر

تعطّل به ســوق الباطل وكسد ، وخافه كل من عصى وفسد ، لأن قلبه قلب أسد .

الرجل موحد متعبد متهجد متفـــرد مجـــدد، زاهد عابد ساجد ماجد حامد رائد مجاهـد، كم أزال من بـدع ، وأظهر من ورع ، وكم من ملحد قمع ، ســــيفه على الضـــــلال مســنون، وقلبه عن حب الــدنيا مســجون ، وهو صــاحب فنون ومتون وشجون .

سارت في الآفاق أخباره ، طارت في البقاع أشعاره ، كـــثر في الحق أنصـــاره، هو مدرسة الاعتـــدال ، وجامعة الاستقلال، ورمز النضال ، لا يهاب ولا يرتاب ولا يغتاب ،

لله درك ما تـــــركت رسالـة — يـوم الـوغى ويـداك في الكُـــلاّبِ

أنفقت عمـــــــرك — أنفقـت هـذا العـلم

ابن تيميـه فريـد ، لا يخضـع للتقليـد ، ومـا هـو ببليـد ، ولكنه عبقري رشيد .

لكلامه حلاوة ، وعلى كتبه طلاوة ، نصر المعصـــــوم ، وأفحم الخصـــوم ، الرجل رجل كفـــاح ، وإمـــام إصـــلاح ، مناضل يحب المناضـــلين ، ويحــــارب المغضــــوب عليهم والضالين ، همة وثّابة ، وذاكرة خلاّبة ، ولســان جذّابــة، هو إمـــام التحرير والتحبـــير والتنـــوير، ليس بجامد ولا جاحد ، ولكنه علامة صـامد ، مجاهد ، عابد . أخذ بـالعزائم وتـوّرع في الرّخص ، وتجرع من أجل الإسلام الغصص :

إن كـان يرضـيك أن تهــــــوي جماجمنا — على الـــتراب فهـــذا الفعل يرضـــــينا

ما تخجل الشمس — ولا تـــهاب العدى إلا

هـــذا الإمـــام كأنه بكل فضل مخصـــوص ، أعـــاد الأمة للنصــوص ، وأراحنا من ضــلال صــاحب الفصــوص . مــرة يهيل الـــتراب على القدريّة ، وأخـــرى يلقي المـــوت على النصيرية، سجن الاعتزال ، في زنزانة الإهمال ، خرج على التتار بالنار ، وحضر ذاك العــراك ، فــأذاق هولاكو الهلاك ، الرجل منصور ، وخصمه مقهور .

ترك المطاعم الشهيّة ، والمراكب الوطيّة ، والمنــاظر البهيّة ، له مع القرآن سمر ، ومع الذكر سهر ، وله جلســةٌ في السحر :

قلت يا ليل هل بجوفك سـرٌّ ... عامـر بالحـديث والأسـرارِ

قـال لم ألق في ... كحديث الأحباب في

صرامة في الحـق ، وإصـرار على الصـدق ، وعلم في رفق .

زهـد : فكـأن الـذهب تـراب ، والجـواهر أخشـاب ، والدنيا خراب .

شـجاعة : فكـأن المـوت عطية ، والهلاك مطيّة ، والمنيّة هديّة.

علـم : فكـأن البحر زخر ، والمحيط انفجر ، والغيث انهمر.

تواضع : فهو أرق من النسـيم ، رحيم بالمسـكين واليـتيم ، هـذا الإمـام جـاد وليس بهـازل ، وعن مبدئه لا يتنازل، ولهذا سكن أعلى المنازل .

أخلاق طـاهرة ، وسـنة عليه ظـاهرة ، وهمة بين جنبيه باهرة :

له همة لو أن للشـمس عشـرها ... لما غـربت حـتى يجيء لها الغـربُ

فيومـاً مع الـذكر ... ويومـاً نـديم للقـنا

ما هـذا العمق والتأصـيل ، واتبـاع الـدليل ، وغـزارة التحصيل ، لو أن ابن تيمية مبتدع ما فهمناه ، ولو انصرف للدنيا لاتهمناه ، لكن الرجل صاحب سنة ، يريد الجنة ، له عقل صـحيح ، ولسـان فصـيح ، يفلج الخصـوم بالحجة ، ويـدل النـاس على المحجة ، نعم الله عليه تامّة ، وهو في العلوم هامّة، ثم هو رجل عامّة، علامة الصدق في العالِم ، العـزوف عن الـدنايا ، وعـدم الخـوف من المنايا ، وجمع السجايا ، وكذلك كان ابن تيمية .

ودليل فلاح العـالِم ، لـزوم أحسن طريقة ، والغـوص على الحقيقة ، وحب الخليقة ، وكذلك كان ابن تيمية .

وبرهان رفعة العالِم ، خشــية الملك العلاّم ، وزُهد في الحطام ، ورِفق بالأنام ، وتعليم للعوام ، وكـذلك كـان ابن تيمية .

فتـى قد حبـــاه الله بالحسن يافعـــــــاً	**كـــــــأن عليـه من نجابتـه ســــــــورْ**
ولما رأى المجد	**تـــــردّى رداءً واسع**

ابن تيمية تفنن في العلـــوم ، ودفع الخصـــوم ، ولم يتعلق بالرسوم .

ليس العلم عند ابن تيمية جبّة مـــــدوّرة ، ولا عمامة مكـــوّرة ، ولا هيئة مصـــوّرة، بل العلم تقى عميق ، ودليل بتحقيق ، وفهم دقيق . وليست المنزلة عند ابن تيمية مراتب ومناصب وتكالب ، بل تضحية وجهـاد ، ونفع للعبـاد ، وإصلاح للبلاد . سفينة علمه لعباب الجهل ماخرة ، فآتـاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

معالم علم الرجل : فهم للسـور ، واتبـاع للأثر ، وجمع للـدرر ، وإيمـان بالقـدر ، وجهـاد لمن كفر ، جعله الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ليس بقليل علم فهو يغـــرف من معين ، ولم يـــتزوج فهو خـــــاطب الحـــــور العين ، بطح البطائحية ، وجعل المعطلة ضحية ، مزق الزنادقة ، وأغرق بالحجج كل فرقة مارقة ، صـــــار كالحاصب ، والعـــــذاب الواصب ، على النواصب ، وأبــرم الــردود والنقــائض ، للــروافض ، كسر ظهـور النصـيرية في كسـروان ، وأبطل خرافـات الجهل بـــالقرآن ، وحل ألغـــاز الحلولية ، ورد كيد الاتحادية ، حفر لحاداً للملاحـدة ، وأخذ كل واحد منهم على حـده ، ذاكرته أصـابها وابل الرسـالة ، وهمته جمعت الحكمة والبسـالة ، وذاكرته حملت البراعة والجزالة ، يشـــفي بعلمه الجهل ، ويعم سيله الجبل والسهل ، ويروي بفتواه الجموع الوافدة ، ويخطب في الجموع الحاشـدة ، يفسر الآية في أشـهر ، فينفجر منه أنهر ، له صولات وجولات ، وعزمـات ، وثبـات وإخبـات. واجه المغـول في شـقحب ، فـذكرنا قصة علي ومرحب ، عجب بعضهم من شـجاعته في تلك المشـاهد ،

وقـــال عنه في الليل أحسن عابد ، وفي النهـــار أشـــجع مجاهد .

في الليل رهبــــــان لعـدوهم من أشـجع
وعند لقـــــــــائهم الفرســـــــــــــانِ
هذا ابن تيمية الذي [illegible] الشريعة آخر

إذا تكلم قـالوا القـرآن بين عينيه ، والسـنة كلها لديه ، والحكمة تتنزل عليه ، له كلام خالد ، ولفظ شارد، يقـول : كل أرض لا تشـــرق عليها شـــمس الرســـالة فهي أرض ملعونة ، وكل نفس لا تنتصر على الهـــــــوى فهي نفس مســجونة ، وكل مهجة لا تبصر الحق فهي مهجة مغبونة ، ويقـــول : المعاصي تمنع القلب من الجـــولان في فضـــاء التوحيد ، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود .

هذا الإمام بالحق يقول ، وله قبول ، جمع بين المنقول والمعقول ، له قريحة حيّة ، لا تقبل زيف القوانين الأرضيّة ، ونيّة صــادقة، معه حجة ناطقة ، ونفس للحق عاشقة ، نفس تعاف الـذل لغـير الله حـتى كأنه الكفر، ويد بيضّـاء بالعطـاء ومن وسخ الـدنيا صــفر ، رجل للملّة مــديون ، وعمره للشـرع مرهـون ، وقلبه عن الـدنيا مسـجون ، وله عند ربه أجر غير ممنون . هذا الشيخ ليس بـالمتكلف ، ولا للنصوص متعسّف ، عنده صفاء ذهن يغوص على الحقائق ، وقوة خاطر يدرك الدقائق.

رد على أهل التصوف ، ونهاهم عن الانحراف والتكلف ، وألزم النواصب حب القرابة ، واحـترام الصـحابة ، وأنكر على الرافضة الغلو والشـطط ، وبيّن لهم الخطأ والغلط ، وله الكلمة البديعة ، إذ يقــول : لا يسع أحد مهما كــان أن يخـرج عن الشـريعة ، ويقـول : ليس أحد يـدور معه الحق حيثما دار ، غير النـبي المختـار (صـلى الله عليه وسـلم) ، وهو القائل : كل يـوم وأنا أجـدد إسـلامي ، وأكـثر لنفسي اتهامي.

وهــذه مقطوعة من الــراس لا من القرطــاس، وهي تحية للشيخ أبي العباس:

أبداً لسِفْر المكرمات

وتحيط بـــرد الصـــالحاتِ

لـك في المعــــــالي

أنت الّذي بهدى الرسـولِ

شـيّدت صـرح الـدين

بالعــــــلم والإخلاص أنتَ

وكان يرى أنه لا يسع أي أحد الخروج على الشّــريعة ، وأن الأحوال والأقوال والأفعال المخالفة لها إنما هي أمور شـنيعة ، ويقـول في المنطق ، وهو قـول عـارف محقق : لا ينتفع به البليد ، ولا يحتاج إليه الذكي الرشيد .

وهو لحم جمل ، غث على رأس جبل ، لا ســـــــــهل فيرتقى ولا سـمين فينتقـل، والرجل له حسّـاد ، لأنه تفـرد وساد ، وجاهد لإصلاح كل فساد.

وهو صـــاحب أحـــوال عجيبة ، وآراءٍ مصـــيبة ، وله مقامــات جليلة ، ومــذاهب جميلــة، حلم عمن حســده ، وأكرم من قصده ، خاطب السلطان بأثبت جنــان، وأفصح لسان ، وطالبه بحمل الناس على السنة النبويّـة، والأخلاق المحمديّة ، وشـفع لأهل الحاجـات ، وأربـاب الضـرورات. ولم يتخذ صـــاحبة ولا ولـــداً ، ولم يجعل له من دون الله ملتحداً ، بل كـان يكتفي بالقليل ، ويـراه كافيـاً لمن عـزم على الرحيل ، وكـــان يعيش على شـــظف ، مقتـــدياً بمن سلف ، ويـرى أن الزائد على القـوت إشـغال ، وأن الـدنيا دار أهـــوال ، وكـــان ينفق كلما يجد ، ولم يحجب معروفه عن أحد ، وكـــان الغـــريب ، يجد عنـــده من الـــترحيب والتقريب ، والمؤانسة وعدم التثريب.

وكان يعظّم السنة أجل تعظيم ، ويسـعى في صـيانتها عن كل معتـــدٍ أثيم ، وقد رزق الســـعادة في التـــأليف ، وأعطـاه الله الحظ في التصــنيف ، وقد طــرقت العــالم رســائله ، وأذنت في أذن الــدنيا مســائله ، وشـرّقت كتبه وغـرّبت ، وسـهّلت كل صـعيب وقـربت ، وفيها من حسن

السبك ، ومتانة الحبك ، ما يدهش العقول ، مع جمعها بين المعقول والمنقـول . وكـان يعتصم بالبرهـان ، ويعـود إلى تحقيق وإتقــــان ، وأقر بعبقريته المخــــالف والموافق ، وعجب من سرعة بديهته المؤمن والمنافق .

وقد نشر الله علومه ، وقهر خصــومه ، وثبّت بـــالحق جنانه ، وسدّد بالصدق لسانه ، مع تمام ديانة، وكمال أمانة ، وحسن صيانة ، وعظيم مكانة .

والرجل كـــالقمر الوهّـــاج ، والبحر الثجّـــاج ، ســـديد المنهاج ، قوي الاحتجاج ، وهو صاحب قيام وتهجد ، وأذكار وتعبد ، يلازم المســـجد ، ويحب أحيانـــاً العزلة والتوحّد ، لا يفاخر ، ولا تعجبه المظاهر ، ولا يكابر ، ولا يكاثر .

وهو الذي صال وجـال ، وغلب الرجـال ، في المحافل المشهودة ، والمجـامع المحمـودة ، وكـان يرهبه الملـوك، مع أنه يتواضع لكل مسكين وصعلوك.

وقــرع بوعظه أســماع الظلمة ، حــتى أهــدروا دمه ، وعرّض نفسه للأخطار ، وخاض الأهـوال الكبـار ، وحسْـبه الواحد القهار :

إذا اعتــاد الفــتى   فأهون ما يمر به

وكأن هذا الإمام للدنيا عين إنسانها ، وهدية إحسانها ، ضَنّت بمثله الأعصار، وطنت بذكره الأمصـار، نحْو سـيبويه من شفتيه ينساب ،

ولغة الخليل في فمه تذاب ، كأن المُـزَني قطـرة من مزنه ، والكسـائي درهم في ردنه ، طـالب خصـومه بقتله فصفح ، وظفر بهم فعفا وسـمح ، لو رآه ابن معين، لقـال هذا إنسان العين ، ولو أبصـره أحمد ، لقـال هـذا المجتهد المتفـرد ، عـرف من الحـديث المتن والسـند ، وما وقف على الظاهر وجمد ، بل غـاص في المعـاني ، وقطف من أغصـانها الـدواني ، وكـان بمـورد الشـريعة بصـيراً ، وقد تضلع بها وعب منها ماءاً نميراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجـيراً ، ولو أدركه الثـوري لكـان عنـده أثـيرا ، وقد مدحه ابن كثـــير كثــيراً ، وقد ذهب الـــذهبي يفضل

مذاهبه ، ويعظّم مواهبه ، وكـــان يكتب العقـــود ، ويحل القيـود ، ويقيم الحـدود ، وأقـام الحسـبة في الأسـواق ، ونشر معتقد الســلف في الآفــاق ، وقد انجــبر به كسر الـــدين ، ورفع به عَلَم الموحـــدين ، وكســـرت به قنـــاة الأكاسرة ، وأرغمت بدعوته أنوف الجبابرة ، وربما خطب عند الولاة بصوت مرتفع ، تكاد القلوب منه تنخلع ، سـجن المــزّي فأطلقه ، وجــادل البطــائحي فأغرقه ، ورد على الإخنائي فأشرقه .

ألف الاسـتقامة فأحيا بها سـوق الأتّبـاع وأقامه ، وألّف درء التعـــارض ، وردّ على ابن الفـــارض ، وما نســـينا، اعتراضه على ابن سينا ، ودحض بالرأي المصيب ، أخطاء الـرازي ابن الخطيب ، وحـذر من كـذب الشـعراء ، وزجر عن الظلم الأمراء ، وأخبر أن في الصوفية أخطاراً خفيّة ، مخالفة للسـنة المصـطفويّة ، ودفع بالـدليل أهل التأويل ، وبالتأصيل أهل التعطيل ، وبحسن التحصـيل، أهل التجهيل والتخييل ، وهو متكلم بـــارع ، لكل خـــير مســـارع ، متبع للشارع ، وله إشـراق في العبـارة ، ولطف في الإشـارة ، مع سـلامة صـدر ، وارتفـاع قـدر ، وربما كتب في الجلسة عدة كراريس ، يـأتي فيها بكل مفيد نفيس ، وكـان يطـالع في الآية أكثر من مائة تفسير ، ثم يقلب بعد ذلك التفكـير ، فيـأتي بعد ذلك بعلم كثـير ، وكـان يمـرغ جبهته سـاجداً، ويدعو الله جاهـداً، فيفتح عليه الفتـاح العليم ، بكل معـنىً كريم ، ورأيٍ مستقيم ، وكان يكثر من الابتهال والسـؤال ، ويلجأ إلى الله في كل حـال ، كثـير التـذلل لمـولاه ، كثـير الخشوع له إذا دعـاه ، وكـان يطيل الصـلاه ، مخبتٌ أوّاه ، دائم الإلحـاح والمناجـاه ، والرجل محفـوظ بعين الرعاية ، غــني عن الإعلان والدعاية ، تــرجم له حــتى الخصــوم ، والرجل ليس بالمعصــــوم ، لكن الله فتح عليه فتــــوح العارفين ، فكان آية السائلين ، وقد كشف أخطاء صـاحب الكشّاف ، وبيّن مخالفته للأسلاف ، وأظهر للأحياء ، أغلاط صاحب الإحياء ، وزيف كتاب الفتوحات ، وأبـرز ما فيه من أمور قبيحات ، وأغار على أسـاس التقـديس ، وأخـرج منه نزغـات إبليس ، وسـقى كـأس الندامـة، صـاحب منهـاج

الكرامة ، وشـــرح مـــذهب الوســـطية ، في الرســـالة الواسطية ، وأظهر لدينه حميّة، في كتـاب الحمويّة ، ودمّر صــروح أهل المنطق في التدمريّة ، وردّ على الفلاســفة ، وأخبر أنهم أهل سفه ، وأنهم أخطأوا في الاسم والصـفة ، وغلط التلمساني العفيف ، وأثبت ضلال القونـوي صـاحب التصنيف ، وزندق الحلاّج ، وذم الحجّاج ، وانتقد الغـزالي ، وذكر أخطـــاء أبي المعـــالي ، ولام علمـــاء الكلام ، وأهل الجـور من الحكـام ، وله رسـالة في السياسة الشـرعية ، وسِـــفْر في الأمـــور البدعيّة ، وله رســـائل طويلة ، في التوسل والوسيلة .

وتكالب عليه أهل البدع ، وسُجن فما رجع ، وكان الله معه فما وقع ، وجمعوا له العلماء فبزّهم ، وهدّدوه فهزّهم ، وقد خوّفــوه الســلطان ، وأخرجــوه من الأوطــان ، فما لانت له عريكة ، وما ذابت له سبيكة ، وعرضوه للمــوت ، فرفع على الباطل الصوت ، وحاولوا أن يُرْشوه ، وبالمـال ينعشــوه ، فـأبى واستعصم ، وحلف وأقسم ، لا يــبيع دينه بعَرَض ، ولا يكون له دونه غرض، وكـان يطلب الشـهادة ، ويجّـود للآخـرة زاده ، ويضـمِّر للجنة جـواده ، وامتُحن في ســبيل الله أكـثر من مـرّة ، وحصل له الجـاه فما غـرّه ، والعُصاة كانوا يتوبـون على يديه ، وتـزدحم الوفـود عليه ، وكـــان يتكلم بكلام يـــدهش الحاضـــرين ، ويـــذهب بلب المنـــاظرين ، وكـــانت الطوائف تحضر درسه ، فيـــذهلهم بكـــثرة علومه في جلسه وأقسم بعضـــهم ما رأينا مثلك ، وما أبصـــرنا شـــكلك ، وكـــانت العامة تقف إجلالاً له في الطريق فيقـابلهم بخلق رقيق ، وقد آذى الحسّـاد أحبابه ، ونالوا أصحابه ، فما زادهم به إلا تعلّقاً ، وعليه إلا تحرّقـاً ، والكل عليه مشفق ، والعالم على حبه مطبق ، وليس في تركته دينـار ولا درهم ، فأنسى النـاس بزهـده إبـراهيم بن أدهم ، وكلما حصل له من مــال ، أنفقه ذات اليمين وذات الشمال ، وهو الذي أفحم القبورية ، ونشر معتقد الســلف في ســوريّة ، وألـزم الحكـام بشـريعة الإسـلام ، ودفع من قَرْمط في النقليّات ، وسفسط في العقليّـات ، وهو الـذي قعّد للعقيـــدة القواعد ، ودبّج تلك الفوائد الفرائد ، وكلامه

يتميز على كلام سـواه ، وقد نصـره الله على من عـاداه ، وظهرت على يديه كرامـات ، وعليه من السـنة علامـات ، وذكر المِزي أنه ما سمع بمثله من خمسمائة عام .

وأقسم الـذهبي أنه ما رأى مثله من سـائر الأقـوام ، ولو طلب منه أن يحلف بين الركن والمقـام ، وتـرجم ابن كثـير لأبي العبـاس ، فنسي الدولة والنـاس ، وكتب عنه المستشـرقون ، وعلى أخبـاره يتسـابقون ، وله سـيرة طويلة في دائـرة المعـارف ، ومخطوطـات كثـيرة في المتاحف ، وترجمت كتبه إلى اللغات الأجنبية ، واسـتفادت من أفكـاره الحضـارة الغربية ، والنـاس في كتبه ما بين مختصرٍ ومعتصر، وناقد ومنتصر ، وقادح ومـادح ، ومخـرّج وشـارح، وأثـنى عليه المستشـرق جولـدزهير ، وألفت فيه عشرات الدكتوراة والماجسـتير ، وهو صـاحب أثر ، وكتبه غـرر ، ذب عن القرابة ، وأثـنى على الصـحابة ، له ذاكـرة وقّادة ، وطبيعة منقادة ، وذهن حاد ، وعزم جاد ، إذا قصد باطلاً أزهقه ، وإذا اعترض على قولٍ مزّقه ، وقد طـالعت من بعد القرن الثـالث إلى زمانه ، فلم أجد مثله في عمله وذكائه وإتقانه ، ولا يغمط فضـله إلا مكـابر ، ولا يعاديه إلا مبتـدعٍ مـاكر، وله نوافل وأوراد ، وأيامه بالطاعة أعيـاد ، فغفر الله ذنبه ، ولقي بالرضا ربّه ، وأنزله منــــــــازل الصادقين ، وجمعنا به مع النبيين والمرسلين ، آمين .

انظم الدمع أيها

مثلما تملؤ المحاجر جمراً

ففـــؤادي مضـــرّج

قد رمته الأيـــام شـــفعاً

ليت مليــــون مهجة

للمنايا وقد تــأخّر شــهرا

فبقـــاء العظيم في

وذهــاب اللــئيم يُــذهب

مقـامَـــة الإمام محمّد بن عبد الوهّـاب

 يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

أغر تشــــــــرق من عينيه ملحمة **من الضــــياء لتجلو حنــــــــدس الظلم**
في همة عصــــفت **كأنه الغيث يســـقي**

الإمام المجدد ، شيخ الإسلام الموحد ، الذي جـدد دين النـبي محمـد . أصـبح في الإسـلام علمـاً معروفـا ، وصـار بالإمامة موصوفا . دعا في التوحيد أصل الأصـول ، وتـابع الرسول ، وجمع بين المنقول والمعقول .

خــرج في زمن أحــوج ما يكــون إلى مثله ، في علمه وعقله ، فذكّر الخلف ، عقيدة السـلف ، تـدرع بـالعلم في فترة ركنت العقول إلى الجهل ، وتسـلح بالصـبر في زمن قل الناصر لأهل الفضل ، وذكّر الناس بأعظم مســألة دعا إليها الأنبياء ، وهي أهم قضية عند العلماء ، فصحح للنـاس أصل المعتقد الحق في ربهم تبـارك في علاه ، ونفض عن عقـول أهل زمانه ما نـال جنـاب التوحيد وشـوّه محيّـاه . فحمى جناب التوحيد ، وسدَّ كل ذريعةٍ تفضي إلى الشرك بـالولي الحميد ، لم تكن دعوته صـوفيه ، بـنيت على شـفا جرف هـار من المخالفـات البدعيه ، الـتي تنـافي الأصـول الشرعية ، بل كـان صـاحب أثر ودليل ، وتحصـيل شـرعي وتأصــيل . ولم تكن دعوته فكرية تبــنى على افتراضــات العقول ، بل أثرية سلفية تقوم على ما صح من المنقول .

هـذا الإمـام ، لم يشـغل الأمة بعلم الكلام ، بل أسـعد الناس بميراث سيد الأنام . ولم يتشدق بعلم المنطق ، بل سال بيانه بالعلم الموثق ، وجرى لسانه بـالقول المحقق . وسـلّمه الله من طيش الفلاســفه ، أهل الزيغ والســفه ، فكــان صــاحب حجة قاضــيه ، على ســنة ماضــيه ، على طريقة من سار ، من السلف الأبرار ، يعرض المسألة في

سهولة ويسر ، مجانباً المشقة والعسر ، فدنا إليه قطـاف الملة المحمديه ، وجبى إليه ثمار الشريعة المحمّديّه .

عـرف الجـادة فوصل ، ودعا إلى ما دعا إليه الرسل . كان في زمنه علماء ، وفي عصره فقهـاء ، لكن منهم من ظن أن السـلامة في السـكوت ، ولـزوم الـبيوت ، وطلب القوت ، ومنهم من كان في علمه لوثة من البـدع ، فكيف يدعو الناس إلى ما أنزله الله وشـرع ، ومنهم من اشـتغل بالمناصب ، عن أداء الـــواجب ، فهمه ثمن بخس دراهم معدودة من الحطام ، يأخذها ثمنـاً لفتـاوى يتخذ بها جاهـاً عند الطغام .

أما هذا الإمام المحفـوظ بالعناية ، المحـاط بالرعاية ، فأشــرقت شمسه من مطــالع الســنة ، وصــارت قافلته الميمونة إلى الجنة .

هـذا المجـدد لم يـأت بمرسـوم من الأسـتانة ، ولمن يطلب المنزل لدى العامة والمكانة ، بل جاء مصـلحاً يعيد الأمة إلى سيرتها الأولى الربانية ، وإلى ما كـانت عليه من المحاسن الإيمانية، والتعـاليم الربانية . وجد في زمن هـذا الإمـام ، في بلاد الإسـلام ، مشـائخ لهم عمـائم كـالأبراج ، وأكمـام كـالأخراج . تُفعل أمـام أعينهم كل طامة ، وهمهم تبجيل العامة ، يجبون الأموال بالاحتيال ، فلا يفتي أحـدهم إلا بثمن معجل ، أو برهــان مؤجل ، ليصــبح العلم لــديهم عمامة مكـوّرة ، وجبة مـدوّرة ، يعظّم بها لـدى الرعـاع ، ويسـكت عن كل شـرك وابتـداع . يـرى أحـدهم الجهـال يطوفــون بــالقبور ، فلا يغضب ولا يثــور ، لأن دمــاء حب الدنيا في عروقه تجمد ، فهو تائه مقلد ، بارد متبلّد .

فجـاء هـذا الإمـام الـذي ما تـدنس بالـدنيا جلبابه ، ولا اتسخت بالبدعة ثيابه ، وقد عقد العزم ، واتصف بـالحزم ، تحدوه همة عارمة ، وعزيمة صارمة ، فــدعا إلى تجديد ما انــدرس من الــدين ، وإظهــار ما خفي من دعــوة ســيد المرسلين .

فكان الناس معه أقسام ثلاثة ، فأصحاب حسد ، ضل رشدهم وفسد ، لسان حالهم : لماذا اختير هـذا من بيننا ، إنه يـــدعو إلى غـــير ديننا ، فكبتهم الله بنصر هـــذا الإمام ، وتآكل حسدهم في صدورهم على مر الأيام .

وأصحاب بدعة وهوى ، سقط نجمهم وهـوى ، ذاق منهم الأمـرّ ، فاحتسب الأجر وصـبر . **وأصـحاب قلـوب حيّة** ، وفطر نقيّة ، عرفـــوا أن دعوته دعـــوة مرضـــيّة ، سلفيّة سنيّة ، فركبوا في سفينة التجديد ، مع هـذا الإمـام الرشيد ، حتى وصلوا معه إلى شـاطئ الإصـلاح ، وسـاحل الفلاح . فإذا رأيت من ينـال هـذا الإمـام ، ويحط من قـدر هذا الهمام ، فاعلم أنه مخذول مغرور ، أو جاهل مغمور .

واعلم أن الصادق يجعل الله لدعوته التأييد والتمكين ، والكاذب يظهر الله عـواره ولو بعد حين . وهـذا الإمـام لم يكن مطلبه السلطان ، وجمع الجنود والأعوان ، والاستيلاء على البلــدان . بل كــان قصــده تصـحيح معتقد النــاس ، وتصفية التوحيد مما أصـابه من الأدران والأدنـاس ، وإزالة الخطأ والالتبــاس ، فأصــاب عين الحقيقة ، ولــزم أحسن طريقة ، حــتى شــرّقت بــالخير ركائبه ، وغــرّبت بالفضل نجائبه ، فتقبلها عبــاد الله بقبــول حسن ، وعــدوها عليهم من أعظم المنن ، وشـــرق بها من ضل رشـــده ، وخـــاب جهـــده ، فما ضر إلا نفسه ، وما اقتلع إلا غرسه ، وهـــذه سنة الله في البشرية ، وحكمته في البريّة .

لا تشرق شـمس دعـوة صـادقة ، بالتوحيد ناطقة ، إلا قيض الله لها أنصاراً وأعداء ، لتتم سنته في المدافعة بين الفجّار والأولياء ، وليتخذ شهداء .

بـدأ الإمـام بالتوحيد لأنه المسـألة الكـبرى ، والعـروة الوثقى . لأن من يعلّم الناس الفروع وقد ذهبت الأصـول ، كمثل من يداوي الأجسام وقد فقدت العقول ، وكيف تفلح أمة يطـــوف على القبـــور رجالها ، وينشأ على الشـــرك أجيالها .

قبل أن تــدرّس النــاس الفــروع الفقهية ، صــحح لهم مســألة الألوهية ، وقضــية العبوديّة ، لتــأتي الــبيوت من أبوابها ، وترد المسببات إلى أسبابها .

وقبل أن يعلم النــــاس أبــــواب السياسة ، وطــــرق الوصول إلى الرئاسة ، يجب تعليمهم الدين الخالص الـذي دعت إليه الأنبيــاء ، والتوحيد الحق الــذي جـاءت به الملّة الغرّاء .

هل يقر للعبد قــرار وهو يســمع ﴿ وَمَنْ يُشْــرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْـرُ أَوْ تَهْـوِي بِـهِ الـرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ . هل بعد هـذا الإنـذار من إنـذار ، وهل فـوق الخطر من أخطـار ، والله يقـول لنبيه وصـفيه ﴿ لَئِنْ أَشْـرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُـكَ وَلَتَكُـونَنَّ مِنْ الْخَاسِـرِينَ ﴾ . إن الأحــزاب المفلسة ، والطوائف المبلسة ، أهملت مســألة التوحيد من حسـابها ، وحجبت حقيقته عن أحزابها . فكـان جزاؤها الخـــزي والهــوان ، والذلة والخـــذلان، لأن أعظم مقامة الإمام محمد بن
المطــالب العلمية ، وأكــبر المقاصد العمليّة ، هي قضــية الألوهية ، ولهذا تجد أنَّ أي دعوة قـامت على غـير التوحيد قد انهـارت ، وأعلنت هزيمتها وبـارت ﴿ فَـأَتَى اللَّهُ بُنْيَـانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ .

ما خُلق الكــون ؟ وأوجــدت فيه حركة وســكون ، إلا لمسألة عظيمة ذكرت في الكتاب المكنـون : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

كـانت دعـوة الإمـام المجـدّد ، تنص على أن يعبد الله وحده ويوحّد ، قبل أن يعلم الناس الأحكام ، لابد أن تطهر قلــــوبهم من التعلق بالأوثــــان والأصــــنام ، وأن تــــزكى ضمائرهم من التعلق بالأنصاب والأزلام .

قد يدرك الحلولي والاتحادي مســائل الفقه وهو ضـال في بـاب التوحيد ، وقد يلم الصـوفي والقبـوري بالأحكـام وهو جاهل بحق الله على العبيد . ولهــــــذا تجد من نصب نفسه للفتيا في بعض البلاد ، يشــــاهد مظــــاهر الشــــرك تعصف بالعبــــاد ، ثم لا ينكر ولو بإشـــــارة ، ولا ينهى ولو

بعبارة ، فـأي صـلاح لمن هـذه حاله ، وأي علم ينتظر لمن هذه أعماله .

لقد اســتقبلت الأمة دعــوة هــذا الإمــام ، بــالقبول والاهتمــام ، فصــار للمســاجد دوي كــدوي النحل بــالعلم المأثور ، وصارت كتائب التوحيد تزيل القباب عن القبـور ، وانتشر دعــاة الحق ينفضــون آثــار الشــرك والبدعة من الصدور ، فصار العامي بنور هذه الـدعوة أصـفى توحيـدا ، وأخلص دينا ، من أئمة الطوائف المنحرفة ، لما جعل الله في قلبه من نور المعرفة . بعد أن عمّت الشرور ، وانطفأ النور ، وحار الناس في ظلمات الشرك بين نـذور وقبـور ، وسحر وكهانة وفجور ، فجدد الله بهذا الإمام معالم الـدين ، وأيده بكتائب الموحدين ، فالحمد لله رب العالمين .

حمــداً على جلال النعمة ، وانكشــاف الغمة ، وصــلاح الأمة .

المقـامَـــــة الـبـازيَّـــــة

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾

إن قـام سـوق العلم فهــــــــو كمالك   **أو مــد بــاع الزهــد فالشــــــيباني**

أو غـــــــاص في التفسير قلت مجاهد   **والفقـــه والتعليم كالنعمـــــان**

للقلب من ذكره اهتزاز ، وللقصيد في مدحه ارتجــاز ، تفرد بالمكرمات وامتاز ، وحظي بحسن الثنـاء وفـاز ، إنـه عبـد العزيـز بن بـاز . أوصـلته الهمـة ، إلى إمامـة الأمـة ، وبلغته العزيمة المنـزلة الكريمـة ، ودلتـه السـنة ، طريـق الجنة . خلق أرق من النسيم ، وعلم أعذب من التسـنيم ، كلامه يوشى بالأثر ، كأنه در انتـثر .

ابن باز : اتباع لا ابتداع ، وقبولٌ عم البقـاع ، وفضـله كلمة إجماع ، مـع اعتصـام بالـدليل ، واهتمـام بالتأصـيل ، وبراعة في التحصيل ، يشرفه تحقيق في النقـل ، وسـداد في العقل ، جمع مع كرم الطبيعة ، رسوخ في الشـريعة ، هجــر في طلب العلم الرقــاد ، فحصــل واسـتفاد ، وأخــذ الروايـة بالإسـناد ، حـتى تـرأس وسـاد ، وعم علمـه البلاد والعباد .

ابن بــاز : على نهج السـلف ، بلا تنطـع ولا صـلف ، روح بالتقوى طاهرة ، ونفس بـالعلوم بـاهرة ، أعـذب من ماء السحاب ، وأرق من دمع الأحباب .

ابن باز في هذا العصر : إمام الغرباء ، وعالم الأولياء ، وزاهد العلماء .

تقلـد **ابن بــاز** أرفـع المناصـب ، فكـان آيـة في أداء الــواجب . حضــرت لــه مجــالس وموائــد ، وحملت عنــه فوائد ، وألقيت عليه قصائد ، ورويت عنه فرائد .

كانت محادثة الركبان تخبرنا   **عن شـــيخنا البـــاز تـــروي أروع الخـــبر**
حـــتى التقينـــا فلا   **أذني بأحسن مما قد**

لمـا جـاء خـبر وفـاة هـذا الإمـام تعـثرت بـه الأفـواه ، وتلعثمت بـه الشـفاه ، وقـال القلب هـذا خـبر لا أقـواه ، وقـالت النفس مـا أشـد هـذا المصـاب على القلب ومـا أقساه .

أصـيب بـه الإسـلام وارتج أهله   **على فقـــده حـــتى أصـــيب بـــه الصـــبر**
كـأن بـنى الإسـلام   **نجوم سـماءٍ خـر من**

<u>**ابن بـاز**</u> بـز بعلمـه الأعلام ، وأتعب بسـيرته الأقلام ، وأهـــــــــدى عمـــــــــره للإســـــــــلام ، وكفل بكرمه الأيتام .

لو رآه يحيى بن معين لقال : مرحباً بعلم الإسناد ، ولو أبصره حاتم الطائي لقال : أهلاً يا سيد الأجواد ، ولـو لقيـه الأحنف بن قيس لقال : منكم الحلم يستفاد .

<u>**ابن باز**</u> بَزَّ الأقـران ، بطاعـة الـرحمن ، وعلم السـنة والقـرآن ، وإكـرام الضـيفان ، واحـترام الإخـوان ، وبـر الأقارب والجيران .

سـعى سـعيهم قـوم فلم يـــــدركوهمو   **ومـــا قصـــرّوا عنـــد اللحـــاق ولم يـــألوا**
ولكن لهم ســـــبق   **فجـــاء لهم من كـــل**

إن زرته غمرك بالإكرام ، وأتحفك بـالاحترام ، وآنسـك بطيب الكلام ، وضـــيفك ألـــذ الطعـــام ، وعلمـــك الآداب والأحكام ، فهو يجمع الجودين ، وبما تقوم الدنيا والدين .

<u>**ابن باز**</u> أبو الدعاة ، وشيخ القضـاة ، وناصـح الـولاة ، تحبه لتقواه ، وتحترمه لفتواه .

حاضـر في الجامعـات ، وتشـرفت بـه المحاضـرات ، وتعطـرت بعلمـه النـدوات ، وطـابت بلقائـه الأمسـيات ، وسعدت بوجوده الجلسـات ، غـني في زي فقـير ، وزاهـد في موكب أمير ومفتي في منصب وزير ، حمـل كـل أمـر

خطـير ، فكـان نعم المشـير ، وصـاحب الـرأي الفطـير والخمير ، عليه بسمة في وقـار ، ولين في إصـرار ، ودأب في استمرار ، السنة له شعار ، والصلاح لـه دثـار ، وعليـه من السكينة أنوار ، لم يكن لسانه كالمقـراض للأعـراض ، ولم يكن له ارتياض في جلب المال والأغراض :

عفيـــف من الـــدنيا كـــأَن بـــه عن كـــل
خفيـــــف من الخنا فاحشـــــة وقـــــرُ
فلو قسـمت أخلاقـه لصـــار لكـــل منهم

ابن بـاز : نفـع للخليقـة ، وإدراك للحقيقـة ، ولـزوم الطريقة ، عدل في الأحكـام وإنصـاف ، وتواضـع تعنـو لـه الأشراف ، وكرم تشهد به الأضياف .

أثبت **ابن باز** أن العلم يشرف من حمله ، وأن المـال يسـوّد من بذلـه . ليس في قـاموس **ابن بـاز** أن الجـود يفقر ، بل صاحبه يشكر وبالخير يذكر ، لو تـرجم كـرم ابن باز في أبيات

لقي أنفـــق ولا تخش من ذي
ولا تطـــع في ســـبيل
من جـاد جـاد عليـه اللـه
عيوبـــه وكفى بـــالجود

تمــيز **ابن بــاز** بــالتعمق في الأثــر ، والغــوص على الـــــــدرر ، مـــــــع تصـــــــحيح الخـــــــبر ، وصحة النظر .

ابتعد **ابن بـاز** عن شقشـقة علمـاء الكلام ، وعقعقـة الفلاسفة الطغام ، وتشدق أهل المنطق اللئـام . ولم يكن يسـقط على السـقطات ، ولا يلقـط الغلطـات ، بـل كـان يدفن المعائب ، ويذكر المناقب ، فملأ الله بمحبته القلوب ، وطار ذكره في الشعوب .

فـالعلم عنـده حـديث وآيـة ، ونـور وهدايـة ، وعمـل لغايـة ، واسـتعداد لنهايـة ، أعـرض عن مذاهب المبتدعة الضلال ، وأهل الـدنيا الجهـال ،

وأساطين القيل والقال ، وهجر الجدال ، فسـلم من همز الرجال .

خلـق كـأن الشـمس تحسـده على	**كـرم الطبـاع وزينـة الأوصـاف**

ليس في مجلسه أرقام الأسعار ، ولا فضول الأخبـار ، ولا غـرائب الأقطـار ، ولا عجـائب الأمصـار ، وإنمـا كلام العزيز الغفار ، وحديث النبي المختار ، وما صح من آثـار . (كمثل حامل المسـك إمـا أن تبتـاع منـه وإمـا أن يتحفـك بطيبه) .

زهد **ابن باز** زهد متواضـع ، لم يشـر إليـه بالأصـابع ، ويعلن على الملأ في المجامع ، لأن الدنيا عنـده أهـون من أن يعظم الزهد فيها ، وأحقـر من أن يمـدح النظـر إليهـا ، فكـان زهـده صـامت ، وتواضـعه سـاكت . خدمتـه ألسـنة الخلق بإعلان الفضائل ، وأحبته قلوب الناس فـوعت تلـك الرسائل .

أفضـل شـيء في العـالم : مراقبـة الجليـل ، والعمـل بالتنـزيل ، والاستعداد للرحيل ، والرضـا بالقليـل ، وكـذلك كـان **ابن بـاز** .﴿فَآتَـاهُمُ اللّهُ ثَـوَابَ الـدُّنْيَا وَحُسْـنَ ثَـوَابِ الآخِرَةِ﴾

وأحب شـيء في الـولي : المحافظـة على تكبـيرة الإحرام ، والكف عن الحرام ، والرحمـة بالأنـام ، وسـلامة الصـدر من حب الانتقـام ، وطهـارة الثـوب من الآثـام ، وكذلك كان ابن باز . كانت دعوته حسـبة ، وعملـه قربـة ، فصار إماماً في زمن الغربة .

وأكرم شيء في الرجل ، بسمة على محياه ، وصـدقه في مسـعاه ، وثباتـه في خطـاه ، وإخلاصـه في إعلانـه ونجواه ، وكذلك كان ابن باز .

وأحسـن شـيء في الإنسـان ، طهـارة الضـمير ، والاسـتعلاء على كـل حقـير ، واحـترام الكبـير ، ورحمـة بالصغير ، وعطف على الفقير ، وكذلك كان ابن باز .

العلم ليس متونــاً تحفــظ ، ولا خطبــاً تلفــظ ، ولكنــه خشــية وخشــوع ، وتواضــع وخضــوع ، واتبــاع فــي الأصــول والفروع ، وكذلك كان ابن باز . ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

والعلم ليس شهادات تعلق ، ولا مناصــب تتســلق ، ولا دنيــا تعشــق ، ولكنــه تقــوى ومراقبــة ، وورع ومحاســبة ، وتنبيه للغافل ، وتعليم للجاهل ، وكذلك كان ابن باز .

عرفنــا من العلمــاء من اشــتهر بالخطابــة ، والــذكاء والنجابة ، وسرعة البديهة والإصابة وهـذا أعظم مـا يـذكر بــه وعرفنــا من العلمــاء من عنــدهم فهم ثــاقب ، ونظــر صــائب ، وذهن يغــوص على العجــائب ، ثم ليس يــذكر إلا بهذا .

وعرفنـا من عنـده حافظـة قويـة ، وفي صـدره متـون مروية ، وفي ذاكرته علوم محكية ، ثم هذا غاية ما عنده . ولكن ابن بــاز حافظــة بفهم ، وذاكــرة بعلم ، وســداد في روية ، وثبات مع حسن طويــة ، معــه حجــة ناطقــة ، ونيــة صادقة .

كالســيف إن تغمــده أو تســــــــــلله ما	**في حـــــده عيب ولا تقصـــــــــــــــــير**

المقامَة

بلغ **ابن باز** منـزلة لا يرفعه المدح ، ولا يضعه القدح ، فاستوى عنده الثناء والهجاء ، ولم ينفعه مـدح الأصـدقاء ، ومــــا ضــــره ذم الأعــــداء ، لأنــــه يعامــــل رب الأرض والسماء .

من كـان فـوق محـل	**فليس يرفعـه شـيء**

ليس في قاموس **ابن باز** تفصّح ولا تبجّح ولا تمدّح .

لا يحب الإطــراء والمــراء والإغــراء ، لا يــتزلف عنــده برنين الدعاية ، ولا يتقرب لديه برخيص السعاية ، لأنه قــد حقق الولاية .

ليس العلم عند **ابن باز** بالتفاصح ، والتمادح ، والزهو بالمشالح ، والحرص على المصالح ، بل العلم لديـه حمـل الشـريعة في إخبـات ، وطلب الفائـدة بإنصـات ، والعمـل بالحجـة في ثبـات . العـالم من عنـد الحـرام كـف ، وعن الشهوات عف ، وقال على غرور الدنيا تف ، وكـذلك كـان **ابن باز** .

ابن بـــاز من مدرســـة التجديـــد ، وليس من أهـــل التقليد ، بل هو صـاحب حجـة ، سـالك المحجـة ، معتصـم بالبرهـــان ، عـــالم برضـــى الـــرحمن . ليس بمتعصـــب للمذهب ، بل يتبع الحق أينما وجد ، ولا يتجـاوز الـدليل إذا صح السند .

صحبت هذا الشـيخ فلم أر فيـه عجرفـة المتطـاولين ، ولا تخـرص المتقـوّلين ، ولا تـرخص المتـأولين ، ولا غـرور الجـاهلين ، بـل دأب في تحصـيل الفضـيلة ، وحـرص على الصفات الجليلة ، واتصف بالأخلاق الجميلة .

كان الشيخ يحـترم الأئمـة السـالفين ، ولم يكن يجـرّح المخالفين ، بل كان رفيقاً مما جعل الناس له مؤالفين .

إذا صـاحبت قومـاً أهـــــــل فضل	**فكن لهمـوا كـذي الـــرحم الشـــفيق**
ولا تأخـذ بزلـة كـل	**فتبقى في الزمان**

إن التقوى إخلاص في الأعمال ، وصدق في الأقـوال ، ومراقبة لله في الأحوال ، وكذلك كـان هـو . أدرك الشـيخ شرف الزمـان ، فـوزع وقتـه في وجـوه الـبر والإحسـان ، وهذه أعظم علامة ، على بلوغه درجة الإمامة .

فهـو رجـل خاصـة ينصـح ويعـظ ويتلطّـف ، ولا يغلـظ ويشنع ويعنف .

وهو رجل عامّة فكان بالناس رفيقـا ، وبالمستضـعفين رقيقا .

وهو رجل شفاعات تُلبَّى لديه الطلبـات ، وتحـل عنـده المشـــكلات ، ويجيب على التســـاؤلات ، وتعـــرض عليـــه المعضلات .

الإمامة عند هذا الإمـام : يقين عنـد الشـبهات ، وصـبر عند الشهوات ، وتحمل للمسـئوليات .لم يكن هـذا الإمـام في فتواه يفرع المسائل حتى يحـير السـائل ، بـل وضـوح في العبـارة ، ولطــف في الإشـارة ، فلا إسـهاب يشـتت الأذهان ، ولا اقتضاب يربك الحيران ، بـل إصـابة للقصـد ، مع اختصار للجهـد . فهـو أدرى بقولـه تعـالى : ﴿ وَنُيَسِّـرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ .

وقالوا : من تابع الرسول ، ووقف مع المنقول ، وترك الفضول ، نال القبول وكذلك كان رحمه الله .

وقالوا : من تقيـد بالمـأثور ، وآمن بالمقـدور ، وعمـل بالمــأمور ، واجتنب المحــذور ، فعملــه مــبرور ، وسـعيه مشكور ، وهو مأجور وكذلك كان رحمه الله .

وقالوا : من أرضـى الحـق ، ولطـف بـالخلق ، وصـدق في النطــق ، وعمــل في رفــق ، حصـل من الــرب على القرب ، ومن الناس على الحب ، وكذلك كان رحمه الله .

ولــولا أني عرفتــه مــا وصــفته ، والسـبب في أنــني أحببته ، لأنني صاحبته .

ولا تقل إنني بالغت في المدح بل قصـرت ، ولا تـزعم أنـني طـولت في الثنـاء بـل اختصـرت . وقـد عـرفت في حيـاتي مئـات العلمــاء ، والأدبــاء ، والشـعراء ، والنبلاء ، والكل فيه فضـل ، والجميـع فيـه نبـل . ولكن الـذي تفـرد بالفضـائل واصـطفاها ، وجمـع حسـن الشـمائل وحواهـا ، وعرف دروس المجد ووعاها ، هو هذا الإمام الهمام .

وقد طالعت سِفْر صـفات الصـالحين ، وقـرأت ديـوان المفلحين ، وراجعت علامــات النــاجحين ، فوجــدتها فيــه منطبقة ، وعليه متّسقة .

ولـو حـرص الكثـير   إلى مــا فيــك من

وابن باز جمع بين ثلاث ميمـات ، لهـا قيمـات ، ولهـا عليه سمات وعلامات .

فميم العلم ، والرســـوخ في الفهم ، وهي إمامـــة مقدسة ، على الوحي مؤسسة .

وميم الكرم والسخاء ، والـتي حـرم منهـا البخلاء ، فصار هـذا الشـيخ بـالكرم رئيسـا ، وعنـد النـاس نفيسـا . **وميم الحلم** فلا يغضب ولا يعتب ولا يصخب ولا يضرب .

وقد قرأت عليه قطعة من مسند أحمد في المسـجد ، فكان يتكلم بقول مسدد ، ورأي بالصواب مؤيّد ، ولا يتردد . وألقيت عليه قصيدتي البازيّـة ، وهي فصـيحة لا رمزيّـة ، فقابلها بالقبول ، واللطف في القول ، ودعا لي بالتوفيق ، كأنه والد شفيق .

وألقيت عليه قصيدتي في أبي ذر ، فاسـتأنس وسـر ، وقصـــائد كثـــيرات ، في لقـــاءات ومخيمـــات ، ونـــدوات وأمسيات .

يا ليت أيامي تعـود	**في عهد هذا الفـذ**

وهو أول ضيف افتتح بيـتي في الريـاض ، وقـد أفـاض عليّ من بره ما أفاض ، وما رأيت منـه في حيـاتي الجفـاء والإعراض :

أنـــا ممن ســماحته أنـــــــــالت	**وممن دربت تلـــك الأيــــــــــــادي**
عليه تحية الرحمن	**لما أسداه من نفع**

بل كان دائماً كثير الترحاب ، لـيّن الجنـاب ، قريبـاً من الأحباب ، مكرماً للأصحاب .

وقـــد شـــجعني علـى الـــدعوة بخطـــاب منـــه مختـــوم ، وباســـمه موســـوم ، وبأنفاســـه مرســـوم ، وهـــو عنـــدي إلى اليـــوم . وقـــد وصـــلت دولاً أعجميـــة وعربيـــة ، وشـــرقية وغربية ، فما رأيت مثل هذا الإمام ، على كثرة من عرفنـــا من الأنام . وأظن عين المجد قد بكت عليه ، وروح التاريخ حنت إليه ، ولو فاح طيب ثناءه في الوجود لكـان مسـكا ، ولـو نظمت مكارمـه في عقـد لانفصـم من طولـه سـلكاً سلكا . وقد رثاه العامة والحكام ، ورجال الإعلام ، وحملـة الأقلام ، وبكـاه رجـال الصـحافة ، وأهـل الأدب والثقافـة ،

ونوه بفضله العلماء ، وبكاه الشعراء ، وأثنى عليه الأدباء ، وحزن عليه الزعماء . وما سمعنا بمثل جنازته في الإسلام ، ولم نعلم أنه مر مثلها مع الأيام ، من كثرة الزحام ، ومـا حل بالمسلمين من الآلام .

فقد اختلـط الـترحم عليـه بالـدموع ، ومـاجت كـالبحر الجمـوع ، وأعلن خـبر موتـه الإعلام المـرئي والمسـموع . ووددت أن النصارى شـاهدوا جنازتـه واليهـود ، ورأوا ذلـك الموقــف المشــهود ، وأبصــروا تلــك الحشــود والبنــود ، والوفود والجنود ، ليعلموا منـزلة علمائنا ، وقَدْر حكمائنـا ، وأننـا أمـة تقـدس الديانـة ، وتـوقر حملـة الأمانـة ، وأهـل الرزانة والصيانة .

ثـوى طـاهر الأردان   غداة ثوى إلا اشتهت
لم تبـــــق بقعة   أنهـــــا قــــــبر
تـردى ثيـاب المـوت   لهـا الليـل إلا وهي

وقد رثيته بقصـيدة بازيّـة ، أصـف فيهـا عظم الرزيّـة ، أنزله الله رضوانه ، وأسبغ عليه غفرانه ، وبوّأه أكرم نزل ، وألبسـه أجمـل الحلـل ، جـزاء مـا قـدّم ، وأفـاد وعلّم ، وأتحف وأكرم ، فلـه علينـا حـق الـدعاء ، وحسـن الثنـاء ، وهـذه سـنة الوفـاء ، ومـذهب الأصـفياء ، وعسـى الملـك العلام ، ذو الأيادي العظـام ، والمنن الجسـام ، أن يجمعنـا به في دار السلام ، مع السلف الكرام .

قاســمتك الحب من   فقمت أنشـــــــد
ينبوعـــه الصـــافي   أشــواقي وألطــافي
لا أبتغي الأجـــــر إلا   فهو الغفـور لـزلاّتي
من كـــــــريم عطا   وإســـــــــــرافي
عفـواً لـك اللـه قـد   لأنهـا ذكرتـني سـير
أحببت طلعتكم   أســـــــــــلافى

المقـامَــة الـدّعـويّـــة

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

أنت كنـز الـــــدر لجة الــدنيا وإن لم
واليــــاقوت في يعرفـــــــوك

تــرى النــاس بلا دعــوة أيتامــاً ، لا يعرفــون حلالاً ولا حراما ، ولا صـــلاة ولا صـــياما ، ولا ســـنناً ولا أحكاما ، فالــدعوة لرئة الأحيــاء هــواء ، ولكبد الــدنيا مــاء ، ولــذلك أرسل الله الأنبياء ، وخط في اللوح ما شاء .

أخـــــوك عيسى دعا
وأنت أحييت أجيـالاً من
من نحن قبلك إلا
في اليم أو دمعة

وقــد حملت القلم والــدواة ، ورافقت الــدعاة ، ولقيت العلماء والقضاة ، وعرفت البســطاء والــدهاة ، وجبت مــع إخواني البلاد ، وخالطت العباد ، فكم عرفنا من نــاد وواد ، وســرنا في حاضــر وبــاد ، فأخــذت من النــاس المــواهب ، واســتفدت من الزمــان التجــارب ، وميّــزت المشــارب ، ونزلت تلك الخيام ، والمضارب .

فالداعية النـاجح ، والواعظ الصـالح ، من جعل محمّداً إمامه ، فعــرف هديه وكلامه ، فــراش بهــداه ســهامه ، وجمل بســنته مقامه . والداعية من كــان بالنــاس رفيقا ، وعــاش معهم رقيقا ، وصــار بهم شــفيقا ، فــاجتنب العنف والتجــريح ، والإســراف في المــديح ، فلزم القــول اللّيّن ، والخُلق الهيّن ، فصــار لقلــوب النــاس طبيبــا ، ولأرواحهم حبيبا .

غلام إذا ما شــــرّف له أنفـس الحضر
الجمع صـــــــفقت واكتمـل البشـــــــرُ
له منطق لو أن مشى بيننا من حسن

ولي في الدعوة انتقال وارتحال ، والفضل لذي الجلال ، وليس لي في الفضل فِلْس ولا مثقـال . وكـانت البدايـة في أبها ، وهي من الشـمس أبهى ، ومن الـزلال أشـهى ، وأهلها من أرق الناس قلوبـاً ، وأقلهم عيوبـاً ، تغلب عليهم الاستجابة ، والذكاء والنجابة .

هيّنـون ليّنـون أيسـار
صيـد بها ليـل
من تلق منهم تقل
مثلّ النجـــوم الـــتي

ثم زرت مكّــة ، فعــرفت من الحب يقينــه وشــكّه ، فصرت لأهلها بـالمودة ضـامناً ، وصـار الأنس في قلـبي كامناً ، وآمن فؤادي ومن دخله كـان آمنـا . فلـو أن الـثرى يُقَبَّل لقبّلت ، لكنــني لمــا رأيتهــا كبّــرت وهلّلت ، وحــول البيت هرولت .

كبّرت عند ديـارهم لما
منها الشـــموس وليس
وعجبت من بلد مكارم
فيها السحاب صـخورها

ثم سرت إلى الرياض ، وأنا من الهم خالي الوفــاض ، فلاحت لنـا الأعلام النجديـة ، والأمـاني الورديـة ، ووصـلنا أرض التوحيد ، وبلاد التجديد ، فوجدنا العلماء ، والكرماء ، والحلماء .

لو كـــان يقعد فـــوق
قوم بآبائهم أو مجدهم
محســـــدون على ما
لا ينـزع الله منهم ماله

ثم حملنا الشوق إلى طيبة ، وهي أمنيتنا في الحضــور والغيبــة ، وهي أرض الجلال والهيبــة ، فيــا قلب واللــه لا

ألومــــك في هــــواك ، ولا أردك عن منـــــاك ، لأن أحب الناس يرقد هناك . أليس في هذه الروابي مشى محمّــد ، وصلى وتعبد ، وقام وتهجد .

المقامَة

بنفسي تلك الأرض ما

وما أحسن المصــطاف

كتبنا عليـها بالدمــوع

هي الـــــدار صـــــارت

ثم رحلنـا إلى جـدة ، ولنـا عنهـا مـدة ، فلمـا وصـلناها ذهب كل عناء وشدة ، وقد أخذنا من الحب عدة ، وحملنــا في القلوب مودة . فلقينا بها شـباباً كالسـحاب ، بـرؤيتهم تم الأنس وطــاب ، وذهب الهم والأوصــاب ، أخلاقهم أرق من النسيم ، وعشرتهم أجمل من الدر النظيم .

هم القـــوم إن قــــالوا

أجــابوا وإن أعطــوا

بهاليل في الإســـــلام

لأولهم في الجاهلية

ثم جاءتنا برقية ، فسافرنا إلى الشرقية ، وما أبقى لنا الشـــوق بقيـــة ،فقابلونـــا بالحفـــاوة والإكـــرام ، والحب والاحترام ، ووجدنا رقة الحضارة ، والبشاشــة والنضـارة ، فعجزنا عن الشكر ، وهـام بنـا إليهم الـذكر ، ومـا نسـيهم الفكر :

لله تلك الـــــــدار أي

للجـــــود والافضـــــال

هم كالشـموس مهابة

أخلاقهم في الحسن

ثم قلت لصـاحبي مالــك في الجــدال خصـيم ، تقــول القيصومة ، وأنا أقول القصـيم ، فلمـا وصـلنا تلـك الـديار، وعانقنا الأخيار ، وجدنا أهل الديانة ، والأمانــة ، والصـيانة .

عفـاف في طهـر ، كـأنهم نجـوم زهـر ، أشـاد بمكـارمهم الدهر .

قل للريـاح إذا هبت غـواديهـا حي القصيم وعـانق كل من فيها

واكتب على أرضهم أرض الديانة

ثم دخلنـا حائـل ، والقلب إليهـا مائـل ، فلقينـا أبنـاء المكارم ، وعانقنا أحفاد حاتم ، فرجح حبهم في المـيزان ، وحـدثناهم في جـامع بـرزان ، واعتـذرت من إبطـائي ، ثم ألقيت قصيدة نادي الطائي :

لا عيب فيهم ســـوى

يسلو عن الأهل بل كل

فيِ حائلِ قد بــــــنى

أبوهمـوا في المعـالي

ولما هبطنا الباحة ، وجدنا الأنس والراحة ، وقـد عـانق القلب أفراحه ، ونسي أتراحه ، فغمد حسام الإسلام غامد ، كم بها من عابد ، وزاهد ، وساجد .

وزهرة المكارم زهـران ، صـرت في ليلي عنـدهم من الفرح سهران ، سيرتهم أطيب سيرة ، وسريرتهم أحسن سريرة ، لأنهم أبناء أبي هريرة :

فِي الباحة الغـــــراء

ما أحسن اللقيـا بلا

شـــــيدت بها الأخلاق

تلقـــــاك بالأجـــــواد

وقد هبطنا تهامة ، فلا ملل ولا سـآمة ، وأقمنـا أحسـن إقامة ، فوجدت الجـود خلفي وأمـامي ، ولمسـت الإكـرام ورائي وقـــدامي ، وكفـــاهم أن الرســول تهـــامي ، تفيض وجـوههم ممـا عرفـوا من الحـق ، وتشـرق وجـوههم ممـا حملوا من الصدق :

أتهمت في طلب

يا ابن المحبة والــوداد

لما أتيــتهموا نسـيت

ضـيعت قبل وصـولهم

ولما أتينا جيزان ، والجو قـد زان ، نسـينا من السـرور الأهـل والجـيران ، ووجـدنا الحلقـات الشـرعية ، والآثـار القرعاوية ، والجهود الدعوية ، والكل منّـا يلاحـظ ، تلاميـذ الحكمي حافظ ، حيث ولـدت العبقريـة ، ولازالت القـرائح غضــة طريّــة ، ولمســنا العــزم والهمم ، ووجــدنا الجــود والكرم :

جازان إني من هـواك

أشــجيتني وأنا الــذي

يا فتنة النّادي طـربت

ما يشـــــبه الأحلام من

وأهم ما يُدعى إليه التوحيد ، فإنه حق الله على العبيد ، ومن أجله بعث الرسل ، وكل كتاب به نـزل ، وهـو رأس العمل . وعلى الداعية أن يعمل بما يقول ، ليضـع اللـه لـه القبول ، فكل من ترك الهدى فهو مخذول ، كلامه سـاقط مرذول .

ولتكن للداعية نوافل وأوراد ، وحسن خُلق مع العباد ، وإصلاح لنفسه وجهاد ، ومحاسبة لها قبل يوم التناد .

وليكثر من الأذكار ، بالعشي والإبكار ، وليراقب الواحد القهار ، مع قراءة سيرة الأخيار، ومصاحبة الأبرار ، والزهد في هـذه الـدار ، وليعتقـد في نفسـه التقصـير ويعـترف ، ويخشى ممـا اقـترف ، ويبكي على مـا سـلف ، وعلى مـا كـان عليه السـلف يقـف ، وليسـلم من الهلاك والتلـف ، وليتقيّد بمـا شـرع ، وليحـذر البـدع ، فـإن النفس أمّـارة ، والنفس غـرّارة ، وليجـوّد العبـارة ، ويحسـن الإشـارة ، وليوقر الكبـير ، ويـرحم الصـغير ، ويعطـف على الفقـير .

وليأت المنابر بعـزم وثـاب ، وقلب غـير هيّـاب ، وأسـلوب جـذّاب ، وليعـد العـدة قبـل أن يلقي الخطـاب ، وليتـذكر حديث : ((لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)) ، فإن هذا من أجل النعم ، وليحمد ربه وليشـكر ، حيث جعله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكـر ، وليعلم أن معلم الخير ، وناصح الغير ، يستغفر لـه الطـير ، والحـوت في الغدير . فطوبى لمن كان للرسول خليفة ، وما أجلهـا من وظيفة ، فهي المنـزلة الشريفة ، والدرجـة المنيفـة ، فهذا عمل الأنبياء ، وشغل العلماء ، وقربة الأولياء ، فهنيئاً له الأجر ، ورفعة الذكر ، وجلال القدر ، وصلاح الأمر .

فسـبحان من اصـطفى من عبـاده دعـاة إلى الجنـة ، أعلاماً للسنة ، له عليهم أجل نعمة ، وأعظم منّة .

المقـامَــات الـوعظـيــة

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾

أما والله لو علم الأنـــــــــام … لما خلقـــــوا لما غفلـــوا ونـــاموا

قلنا لأحد العلمــاء ، النبلاء ، الأوليــاء : عظنا موعظة ، للقلـوب موقظة ، فـإن قلوبنا بالـذنوب مريضة ، وأجنحتنا بالخطايا مهيضة ، فنحن قد أدمنّا الــذنوب ، وعصــينا علاّم الغيوب ، حتى قست منا القلـوب ، فقـال : واحـرّ قلبـاه ، واكرباه ، يا ربّاه ، يا ابن آدم تذنب ولست بنـادم ، الأنبيـاء يبكون ، والصالحون يشـكون ، تتـابع المعاصي ، وتسـتهين بمن أخذ بالنواصي ، ويحك كيف تلعب بالنــار ، وتســتهين بالجبار ، يغـذيك ويعشّـيك ، ويقعـدك ويمشـيك ، ثم تنهض على عصيان أمره ، مع علوِّ قـدره ، وعظيم قهـره ، ويلك هذا الملك كسر ظهـور الأكاسـرة ، وقصّـر بـالموت آمـال القياصرة ، وأرغم بالجبروت أنوف الجبابرة ، الروح الأمين ، وَجِل مسكين ، من خوف القـويّ المـتين ، ومحمد يتهجد

ويتعبد، وهو الذي دعا كل موحِّد ، ومع هـذا يتوعد ويهـدد ، من ركن لكل كافر وملحد .

أين عقلك يا مغرور ، هل نسيت يوم العبـور ، وسـاعة المرور ، كل طائر من خوفه يخرُّ صـريعًا ، وكل كاسر يئن من خشـيته وجيعًا ، أبو بكر انتفض من خوفه كالعصـفور ، وصار صدره بالنشيج يفور ، وسقط الفـاروق من الخشـية على الرمال ، حـتى حُمِل على أكتـاف الرجـال ، وبقي ذو النورين ، من منظر القبر يبكي يومين ، وهذا علي بن أبي طـالب دموعه من التــذكر ســواكب ، كــان عمر بن عبد العزيز ، يرتعد ولصدره أزيز ، ويقـول : يا قـوم ، اذكـروا صــباح ذلك اليــوم ، ويلك والله لو أن القــرآن نــزل على صــخر لتفجر ، ولوهبط على حجر لتكسر ، وتقــرؤه وأنت لاهٍ ســاه ، تتفكر في المنصب والجــاه ، كـأن الليــالي لا تطويك ، والكلام لا يغْنيك ، تـدفن الآبـاء والأجـداد ، وتفقد الأخـوة والأولاد ، وأنت لازلت في إصـرار وعنـاد ، سـبحان الله تغترّ بالشباب ، وتزيّن الثياب ، وتنسى يوم يُهال عليك التراب :

أبــــــداً تصـــــرُّ على

وتكـــثر العصــيان منك

أبـداً ولا تـبكي كأنـك

وأراك بين مـــــــــــودِّعٍ

لا تغفل ذكره ، ولا تنس شكره ، ولا تـأمن مكـره ، هو الـذي عفر بـالطين ، أنف فرعـون اللعين ، وفـرّق جنـوده أجمعين ، مســاكن من عصــاه قــاع قرقر ، بعد ما أرسل عليهم الريح الصرصر ، إذا غضب دمر المنــازل على أهلها ، وسوّى جبالها بسـهلها ، شـابَ رأسُـك، وما خـفّ بأسك ، ومــازال في المعاصي فأسك ، ما لك ما تــردّك الآيــات ، ولا تزجرك العظات ، ولا تتذكر الأموات ، مصرٌّ مســتكبر ، تركب كل أمر منكر .

ســـــمع ابن وهب آية ﴿ وَإِذْ يَتَحَــــاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ ، فسقط مغشياً عليه في الـدار ، ثم مـات في آخر النهـار ،

ســمع عمر ، بعض الســور ، فطــرح دُرّته وانقعر ، فبقي مريضاً شـهر ، وصـارت دموعه نهر ، قـرأ سـفيان سـورة الزلزلة ، فسُـــمع له ولولة ، كأنها أصـــابت مقتلة ، بعض الصقور تسقط من السماء ، وإن من الحجارة لما يشــقق فيخــرج منه المــاء ، وأغميَ من الخشــية على كثــير من العلماء .

كأنك ما ســــــمعت بطورســـــــــينا **ويـــوم صــــار مـن طــــــولٍ سنـــــينا**

تخـــــــرُّ له الجبابـر وهي تـــــــبكي **ويحــصي فــيه ربي ما نســـــــــينا**

ويحك خَف ربك ، وراجع قلبك ، واذكر ذنبك ، موسى خرّ من الخوف مغشـياً عليه مصـعوقاً ، ويوشع صـار قلبه من الوجل مشـقوقاً ، وبعضـهم أصـبح وجهه من الـدموع محروقاً ، كيف تصبح وتمسي ، والرسل كل يقــول نفسي نفسي ، أعجبتك الــدور والقصــور يا مغــرور ، ونســيت القبور ، ويوم النشور ، يوم يحصل ما في الصدور .

والذي نفسي بيده ما تسـاوي الـدنيا فتيلة ، ولا تعـادل في القبر فزع أول ليلة ، يوم تطــرح فيه وليس لك حيلة ، استنفق مالَك ، وراجع أعمالك ، وزن أقوالك .

وخطك الشيب ، وما تركت العيب ، تشاهد المصارع ، وتسمع القوارع ، وتنهـال عليك الفواجع ، تنسى الـرب ، يا ميّت القلب ، الصحابة من الخوف مرضى ، وطلحة ينـادي : اللهم خذ من دمي حــتى ترضى ، ما شــاء الله ما تحضر صـــــــلاة الفجر ، ولا تطمع في الأجر ، وجعفر تقطعت بالسيوف أوصاله ، وارتفع بالفرح تهليله وابتهاله .

على شفرات السيف لترضى وإن ترضى

فلو كتبـتْ منّا الدمـاءَ لخطَّتً بحـب الله كـل

ويلك أنت مهمـوم بـالقرش ، والفـرش ، والكـرش ، وسعد يهتز لموته العرش .

تهاب الوضوء إذا برد المـاء ، وحنظلة غُسل قـتيلاً في السماء ، تعصي حي على الفلاح ومصعب بن عمير قـدم صـدره للرمـاح ، ما تهـتز فيك ذرة ، والمـوت يناديك في كل يـوم مائة مـرة ، والله لو أن في الخشب قلـوب لصـاحت ، ولو أن للحجـارة أرواح لنـاحت ، يحن المنـبر للرسـول الأزهر ، والنـبي الأطهر ، وأنت ما تحن ولا تئن ، ولا يضج بكاؤك ولا يرن.

لو مُتَّ لعذرناك ، وفي قبرك زرناك ، ولكنك حيُّ تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب ، وتغني وتطرب .

بعض الصـالحين أتى لينـام ، فـترك الفـراش وقـام ، وأخذ ينوح كما تنوح الحمام ، قالوا مالك ؟ قـال : تـذكرت ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وهذه الآية كافية .

تواصل الـــذنب لا
وتسـتهين بـأمر الواحد
كـأن قلبك مطبـوع
تخشى عقابـاً ولا تبكي

سعيد بن المسيّب ، الإمام المحبب ، والزاهد المقـرب ، ذهبت عينه من كثرة الدموع ، واصفر وجهه من الخشوع ، وهـو مـا بين سـجود وركـوع ، يزيـد بن هـارون ، الإمـام المأمون ، عمي من البكاء ، فما أنّ ولا اشتكى ، فقالوا له : مـا فعلت عينـاك الجميلتـان ، فقـال : أحتسـبهما عنـد الواحـد الـديّان ، أذهبهمـا بكـاء الأسـحار ، وخـوف الواحـد القهار. والله إن فينا علّة ، ننام الليل كلّـه ، كأنـا لسـنا من أهل الملّة .

المقامة

شـغلنا بالـبنين وبالحـطام	**ولم نسـرع إلى دار السـلام**
كأنا قـد خلقـنا	**وإكثـار الشـراب مع**

الملَك حمل الصـــــــور لينفخ ، والملائكة تكتب عليك وتنسخ ، وأنت بالـــذنوب ملطّخ، ما تبكي لك مقلة ، كأنك أبله ، كان ابن المبارك من البكاء يخور ، كأنه ثور منحور ، وابن الفضـيل يمـوت في الصـلاة ، لأنه سـمع من الإمـام قرآنـاً تلاه ، تـرك ابن أبي ذئب القيـام لأمـير المؤمـنين ، وقال ذكرت يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كان ميمـون بن مهران ، كأن عينيه نهران ، حفر له في البيت قبر ، إذا رآه فكأنه يُنقر في قلبه نقر ، يا ويلاه القبر القبر .

يقول أحد السـلف : يا مغـرور إن كنت تظن أن الله لا يراك ، وتفعل هذه الأفعال فأنت شاكّ ، فما غرّك وألهـاك ، وإن كنت تعلم أنه يبصر أفعالك ، ويحصي أعمالك ، ويـــراقب أقوالك ، ثم تتجـــرَّأ على محارمه ، وتســـتهين بمعالمه ، فقد سُلب قلبُك ، وأُخذ لُبّك.

ولو أن قلبـــاً يعـــرف لديه نعيم العيش
فما هي إلا جيفة كلابٌ فلا تخـــــــدعك

ابن تيمية يمرغ وجهه في التراب ، وينـادي يـا وهّـاب ، يا فاتح الأبواب ، الطـف بنـا سـاعة الحسـاب ، وأنت ميّت الإرادة ، ظـــاهر البلادة ، عـــريض الوســـادة . الملائكـــة يسـبِّحون الليـل والنهـار لا يسـأمون ، ويـذكرون ربهم ولا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مـا يـؤمرون، ولم يعملوا سيئات ، ولم يقـترفوا خطيئـات ، ولم يرتكبـوا موبقات ، ونحن أهل العصـيان ، والتمـرد والنكـران ، ومـع هـذا ترانـا لاعـبين ، وفي طـرق اللهـو سـاربين، ولِكـأس الغفلـة شـاربين ، الأمـر فصـل، وجـدٌّ ليس بـالهزل ، يـوم قمطرير ، شرُّه مستطير ، تكاد القلوب منه تطير ، تــذهل المرضعة عما أرضعت ، وتُسقط الحامل ما حملت ،وتـرى كـل نفس مـا عملت ، الخلائِق تضـيق نفوسـهم ، الولـدان تشيب رؤوسهم .

هـدِّ من لهـوك شـيئاَ هـــــدِّ هَـــــدّ	إنّ أمـر الله فينا جِـدَّ جـــــــــــــدّ
أرغِم النفس على	فــاز من في عمــره

أراد علي بن الحسين أن يلـبي على الراحلة ، فسـقط من الخوف بين القافلة ، فلما أفاق ، قال للرفاق : أخشى أن أقول لبيك ، فيقـول : لا لبيك ولا سـعديك ، مع أنه زين العابدين ، وريحانة المتهجدين ، لكن القـوم عرفـوا ربهم ، فبكوا ذنبهم ، وجمعـوا خـوفهم وحبهم ، فيا صـاحب العين الـتي لا تـدمع ، والنفس الـتي لا تشـبع ، والقلب الـذي لا يخشع ، إلى متى تؤجِّل التوبة ، أما لك أوبة :

فيا دمع هـــــذي ليلة

فهــات غروبــاً تـــبرد

ويِا قلب قد عاهـدتني

كأنك لا تجــــــزعْ من

العمر قصير ، والشيب نـذير ، والـدار جنـة أو سـعير ، نراك تضحك كأنك أتاك أمان، من الملك الديان ، ما لـك لا تحـزن، هـل عـبرت الصـراط حـتى تـأمن، النـدم على مـا فرطت أحسن ، يا مسكين : إبراهيم الخليـل ، وهـو النـبي الجليل، بكى ذنبه ، ودعـا ربـه، وقـال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَـعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فكيف بنا نحن المـذنبين ، خلقك فسوّاك ، وأطعمك وسـقاك، وآواك وكسـاك ، ومن كل بلاء حسنٍ أبلاك، ثم تعصيه وهو يراك :

نُسِــجت لنا الأكفــان

ونظِـــلُّ نضـــحك ما لنا

أوَ ما ذكـــرت القـــبر

يـلقاك فيه منـكر ونكيرُ

المقامَة

أحسن ماء دموع التائبين ، أعظم حزن حزن المنيــبين ، وأهنأ نعــاس نعــاس المتهجــدين، أجمل لبــاس لبــاس المحـــرمين ، ما ألذ جـــوع الصـــائمين ، ما أســـعد تعب

القـــائمين ، ما أكـــرم بـــذل المتصـــدقين ، أين المبـــاني والمغاني ، أين الغواني والأغاني ، أين الأفــراح والتهـاني ، أين من شـــاد وســـاد ، أين ثمـــود وعـــاد ، أين ساســـان ، وقحطان ، وعدنان ، وفرعون وهامان ، أين مُلْك سـليمان ، أين أصحاب الأكاليل والتيجان ، ﴿ كُـلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَـانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ ، والطَّول والإنعام .

أما زرت المقـابر ، أما هالتك تلك المنـاظر ، أما رأيت القوم صـرعى، والـدود في عيـونهم يـرعى ، عن الحـديث سكتوا ، وعن السلام صمتوا ، الظـالم بجـانب المظلـوم ، والمنتصر بجانب المهزوم ، والضعيف مع الأمـير ، والغـني مع الفقـــير ، وانظر إلى المغمـــور والمشـــهور، والغـــالب والمقهور ، ذهب الحُسْن والجمال ، والجاه والمال ،وبقيت الأعمال ، أموات يتجاورون ، ولا يتزاورون .

سكـــــــــــتوا وفي أعماقـــــهم أخبـــــارُ … وجـافاهمُ الأصحــاب والــــــــــــــزوّارُ

ماذا أعددت عندما توقَف ، يا من هجر المصحف .

الزبير بن العوام ، بطل الإسلام ، جسـمه كله جـراح ، من آثـار السـيوف والرمـاح . وخالد بن الوليد ، الشـجاع الفريد ، يُمزق جسمه بالسـهام ، ويخطط بدنه بالحُسـام ، لينتصر الإسـلام ، بلال بن ربـاح ، يسـمع حي على الفلاح ، فيجيب لسـان حاله لبيك منـادي الإصـلاح ، يُصـهر جسـمه على الحجـارة ، ليصـبح مـؤذن الإسـلام على المنـارة ، يعذِّبونه ، وفي الرمضـــاء يذيبونه ، فـــيردد أحد أحد ، لأنه ذاق قل هو الله أحد ، الله الصـمد، يُضـرب رأسه ، ويُكتم نَفَسه ، فما يزيــــــده ذلك إلا إصـــــرارا ، وفي طريق الحق استمرارا :

سيّدي عــلِّل الفــؤاد العلـــــــــــــيلا … وأحيــــــني قبل أن تــــــراني قـــــتيلا

ان تكن عازمـــاً على … فترفـق بها قلـــيلا

انظر لسلمان ، أقبل من خراسان ، يبحث عن الإيمان ، هجر ماله وأوطانه ، وإخوانه وخلانه ، وأعوانه وجيرانه ، يسأل عن الإمام ، بدر التمام ، رسول الإسـلام ، فينطـرح

بين يديه ، ويلقي نفسه عليه ، ويبث شجونه إليه، فمرحباً يا سلمان يوم أتيت ، وهنيئاً لك يوم اهتـديت ، واقبل هدية سلمان منّا آل البيت :

فلا تحسب الأنســاب تنجيك من لظى **ولـو كــنت من قيسٍ وعبد مـــــــدانِ**
أبو لـــهب في النــار **وســـــــلمان في**

لما حضر الصحابة مدينة تستر ، وسل كل منهم سـيفاً أبـــتر ، فنـــادوا بطل المعـــارك ، الـــذي يلقي نفسه في المهالك ، أعني البراء بن مالك .

والذي قال فيه المعصوم ، يوم رآه عن الدنيا يصــوم : رب أشـعث أغـبر ذي طمـرين لو أقسم على الله لأبـره ، فكان الـبراء لعين الإسـلام قُـره ، وبـاع نفسه من الله كل مــرة ، قــال الصــحابة يا بــراء ، أقسم على رب الســماء والغـبراء ، على أن ينصـرنا على هـؤلاء الحقـراء ، فأقسم على الله بالنصر ، وأن يكـــــون أول قتيل بعد العصر ، ثم لبس أكفانه ، وودّع إخوانه ، فسل الحسام ، وفلق الهام ، وانتصر جند الإسلام .

لك الله ما هـــــــذي الشجاعة في الـوغى **أأنت زحـوف السـيل أم أنت حيـــــــدره**
تقدمـت حـتى هـابت **وصارت رماح القـوم**

الــذي لا يحضر صــلاة الصــبح ، لا يطمع في الــربح ، وليس بيننا وبينه صلح .

تريد نصر الإســـــلام ، وأنت لا تحافظ على تكبــــيرة الإحــرام ، مع الإمــام ، هــذه أوهــام ، الســلف الصــالح ، والجيل الناصح ، أعطـــوا الإســـلام الأمـــوال والـــدماء ، فأصبحت هاماتهم في السماء ، وأنت ماذا أعطيت، ومــاذا لدِينك أهـديت ، ولأمتِّك أسـديت ، حي كَمَيْت ، عشت بين لعلّ وليت، وما دريت، بأنك في الخسار هويت .

مـــتى يســـتفق من عقله في غشــــاوة **ومطـــلبه في هـــذه الأرض دينـــــــارُ**
لقد خاف المساني **وأصبح بعد الليث**

قلبك من الـذنوب مجـروح ، ولا تبكي ولا تنـوح ، كأنك جسد بلا روح ، ما أثّر فيك الوعظ ، وما فهمت اللّحظ ، وما ميَّزت بين المعـــــني واللفظ ، الحمـــــام يبكي على الأغصـان ، من فقد الخلاّن ، والغـراب على البـان ينحب ، وعلى الشــجر يشــغب ، لســفر أصــحابه ، وبعد أحبابه ، وقلبك قاسي ، كما الصــخر الراسي ، لا تــدمع لك عين ، ولا يــؤثر فيك الفــراق والبَيْن ، ولا يردعك حيــاء ولا دِين ، الغراب قتل أخـاه ، ثم نـدم فـواراه ، ودفنه وبكـاه ، وأنت قتلت نفسك بـــالكبر والريـــاء ، وما منعك الحيـــاء ، كأنك لست من الأحيـاء ، النملة أنـذرت بنـات جنسـها ، فعـادت إلى رَمسها ، تبقي لقوت يومها من أمسها ، وأنت تجــاهر الواحد القاهر ، الباطن الظاهر ، بالكبائر .

أمـا أتـــــــــاك من الرحمـــان موعظـــةٌ   **ما قـــال في ســـأل منها وفي عبسا**
مركوبك النعش   **دنيـــــــاك لما ركبت**

مالك في دنيــاك تتبلد ، وفي غيك تـــتردد ، وما فعلت كما فعل الهدهد ، سـافر إلى اليمن وهو وحيد ، يـدعو إلى التوحيد ، فعاد إلى سليمان ، بعد ما أعطاه الأمان ، فجــاء من ســـــبأ بنبأ ، وأنكر على بلقيس ، إذ زين لها إبليس ، تســـجد للشـــمس ولا تســـجد لمن أجراها ، وما أدرى الشمس عن الخليقة ما أدراها .

فأصـــبح الهدهد داعية ، أذنه للحق واعية ، وقدمه في التوحيد ساعية ، وأنت هل دعوت أحـدًا ، أو مـددت للخـير يدًا ، أو أسمعت الهدى بلدًا .

الفيل وجّهوه لهدم البيت ، فنادى لســان حاله يا أبرهة ضللت وما اهتديت ، وظلمت واعتديت ، والله لا أنقل إلى البيت القدم ، وأموت هنا وكعبة الله لا تنهدم.

وقفت حيـــــــاء عند بابـك مطـــــــــــرقاً   **ولم أنقل الأقـــــدام من روعة الخجل**
فلو قطعـــوا رأسي   **أهــذا جــزاء الفضل**

الفيل يلوي عن المعصـية رأسه ، ويـبرد عن المخالفة حماسه ، وأنت لا يــردك عن الخطيئة بــاب ، ولا يحجــزك عن السيئة حجاب .

لا تســـتهِن به فإنه قـــوي ، ولا تمُنَّ عليه فإنه غـــني ، أهلك ثمـود في ناقة ، وألحْق عـاداً بالسـاقة ، عصـته أمم فهز بهم الأرض هزّا ، ثم قـال : ﴿ **هَـلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَـدٍ أَوْ تَسْـمَعُ لَهُمْ رِكْـزًا** ﴾ ، حطّم سد سـبأ بفـارة ، وأحرق إرم ذات العماد بشـرارة ، ومـزق أعـداءه بغـارة ، أعتق رقبتك من النار ، وأنقذ نفسك من البوار.

هــذا عثمــان بن عفــان ، ســمير القــرآن ، جهز جيش العسرة ، وأفطر على كسرة ، قرأ القـرآن يومه ، وشـرى بـــئر رومة ، وأنت تريد الجنة ، وصـــــدقتك بالمَمنّة ، وقد هجرت السنة

علي بن أبي طالب قدم رأسه للشـبا ، وصـار جسـمه بالدماء مخضبا ، وذبح عـدو الله مرحبا ، وأنت ما حضـرت قتــالاً ، ولا أنفقت مــالاً ، وما ذقت في ســبيله نكــالاً ، نطاليك فحسب بالصف الأول ، ولا تلعب بالـدين وتتـأول ، ولا تأكل الحرام ومنه تتمول .

هــذا ســكار النفس ليس يردها عن غيها إلا فـــتى مغــــــــوارُ
هل عنــدكم يا قــوم تخشون أن يحتاجكم

ألّف البخاري لك الصـحيح ، وجمع لك كل حـديث مليح ، كان يصلي عن كل حـديث ركعـتين ، وعـرض عليه كتابه مرتين ، ثم هجرت صحيحه ، ولم تقبل النصيحة ، أعرضت عن أصح المؤلفات ، وأقبلت على الصحف والمجلاّت .

جمع أحمد المسند ، بالرأي المسدد ، والصدق المجرد ، والورع المجود ، طـاف الـدنيا على الأقـدام ، من صـنعاء إلى دار السـلام ، فلما أصــبح المســند لــديك مطبوعــاً ، مقــرواً ومســموعاً ، جعلته في بيتك وســادة،وما فتحت جلاّدة ، ولا ذقت زاده .

جــزاهمُ الله عن دين الرســــــول فما لــولا لطــائف صنع
أحـــلى مــآثرهم في ســـــــالف الحقب تلك المكـــــارم في

ألّف جرير ، كتاب التفسير ، وحرّره أيما تحريـر ، فهـو لكل مؤمن سمير ، وبكـل نفـع جـدير ، فـأغلقتَ عليـه في زنزانـة ، كأنـك مـا عـرفت شـانه ، ولا شـكرت إحسـانه ، واستبدلته بكتاب ألف ليلة وليلة ، وجعلته إلى اللهو وسيلة ، وللعب خميلة ، ولطلب الدنيا حيلة ، تغفل الآيات البينات ، والحكم البالغـات ، والنصـائح والعظـات ، وتقبـل على كتاب الأغاني ، للأصفهاني ، وهو فيما قال جاني .

خف الله واحفظ ذا الزمـــــــــان فإنه
ســـريع التـــــقضي مخلف الحســــــراتِ

أســـأل الله بالاسم الأعظم ، والوصف الأكـــرم ، فإنه الأعلم الأحلم الأحكم ، أن يهـدي قلــبي وقلبك ، وأن يغفر ذنبي وذنبك ، وأن ينير بالوحي دربي ودربك.

المقـامَـــــة الـجـهـاديـــــة

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

أيـــا رب لا تجعــــل وفـــــــاتي إن دنت ولكن شـهيداً ثاويــاً

على مضـجع تعلـوه حســـن المطـــارفِ يصـابون في فج من

قال أبـو شـجاع ، محمـد بن القعقـاع : مـا رأيت مثـل الجهاد ، في سبيل رب العباد ، فيه تصـان الملـة ، ويـدخل على الكفار الذلة .

قلنا يا أبا شجاع : حدثنا عن بعض التحف ، من مواقف السلف ، في ساح الوغى ، يوم قاتلوا من بغى وطغى .

فقال : كان المسلمون مع قتيبة بن مسلم في حصــار كابل ، وكل ذاهل ، فأرسل إلى محمـد بن واسـع ، الإمـام الخاشع ، فلقيه بجفن دامع ، وكف ضارع ، يشـير بسـبابته إلى السماء ، ويقول : يا سميع الدعاء ، عظم فيك الرجـاء ، اللهم ثبت أقدامنا ، وسدد سهامنا وارفـع أعلامنـا ، فلمـا أخبروا قتيبة بما شاهدوا ، وأطلعوه على ما وجدوا .

قال : والله لإصبع محمد بن واسع خير عندي من مائة ألف شاب طرير ، ومن مائـة ألـف سـيف شـهير . ثم بـدأ القتال ، فنصرهم ذو الجلال ، وانهزم الكفار ، وولوّا الأدبار .

قال : ولما حضر خالد لقتال الروم ، قدموا له قـارورة مملوءة بالسموم ، وقـالوا لـه : إن كنت متـوكلاً على اللـه ولا تخاف ، فاشرب من هذا السم الزعاف . فقال : بســم الله ، توكلت على الله ، ثقة باللـه ، ثم شـرب القـارورة ، فما مسه ضرورة .

ولما رأى المسلمون جيش الروم ، وكثرة القوم ، قال أحــد النــاس ، لمــا رأى البــأس : اليــوم نلتجئ إلى جبــل سلمى وأجّا ، قال خالد : بل إلى الله الملتجى .

قال : ولما حضر المسلمون في تستر ، مـا بين مهلـل ومكبر ، قال المسـلمون: يـا بـراء بن مالـك ، أقسـم على إلهك ، عله أن يرزقنا النصر ، وعظيم الأجر . فأقسم على الــديان ، فهــزم اللــه أهــل الطغيــان ، وذهب الــبراء إلى الجنان .

والبراء هو صاحب حديث " رُبَّ رجل أشـعث أغـبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره " فأبرّ الله قسمه وبلغــه كل مسرّة .

ثم قال أبو شجاع : اعلموا أن صرخات التفجــع ثلاث ، سجلت أهم الأحداث .

وهي : **وا معتصماه ، وا إسلاماه ، وا أماه .**

فوا معتصماه : أطلقتها امرأة في عمورية ، بعـد أن أهينت في البلاد الروميّــة ، فســـمعها المعتصـــم الأســـد الهصور ، فترك القصور ، وخرج بجيش يمور ، فأذل أتبــاع نقفور ، وأخذ الكفور ، وجعله عبد للمسلمة الـتي صـرخت باسمه من وراء البحور .

وأما وا إسلاماه : فأطلقها قطز وبيده البتـار ، يـوم نازل التتار ، فهزم من كفر ووّلوا الأدبار .

وأمــا وا أمــاه : فهي صــرخة مفجوعــة ، وصــيحة مقطوعة ، قالها طفل من الأندلس ، لما رأى أمه وهو في حضنها تختلس .

فقال أبو البقاء يصف هذا الشقاء :

يا رب أم وطفل

كما تفرق أرواح وأبدان

أحب عبد الله بن عمرو الأنصاري " قـل هـو اللـه أحـد " ، فهب إلى أُحــد ، فقيــل لــه : البينــة ، على المــدعي للمحبة ، فضرب في سبيل الله ثمانين ضربة .

بعضهم هوايتهم منصب شريف ، أو قصـر مـنيف . أمـا ابن رواحة ، فهوايته طعنة بسيف ، حتى قال :

المقامَة

لكنـــــني أســــأل وطعنة ذات قـــرع

يــأتي الشــهيد يــوم القيامــة وعليــه علامــات ، وآيــات بينـات ، والـبراهين على عبـد اللـه بن جحش واضـحات ، ذهـاب العيـنين ، وقطـع الأذنين ، وبـتر اليـدين ، لأن لكـل قضية شاهدين .

كتبت بالـــدم آيـــاتٍ مبيّنة يوم الــوغى ودفعت الــــروح والبـــــدنا

شربت جنة فردوس أحضرت للسيف يوم

أتى إلى مؤتة جعفـر ، فتقـدم ومـا تـأخر ، وكـان يـوم الجماجم يتعثر ، ودمه يتقطر ، فضرب بسـيفه في الكفـار حتى تكسر ، فلما قطعت يداه ، وأسلم الـروح إلى اللــه ، طاب وطاب مسعاه ، أبدله الله بجناحين ، يطـير بهـا على الريــاحين ، ويتنعم في الفــردوس كـــل حين . كــل يكتب اسمه بمداد ، إلا الشهيد فإنه يكتبه بدم في سفر الأمجاد . كأن الشهيد يمـوت مختـارا ، وغـيره يمـوت مضـطرا .كـل ميت يوضع المسك معه في الأكفان ، إلا الشهيد فإن دمـه كله مسك يملأ المكان .

تفوح أطياب نجد من

عند القـــدوم لقـــرب

آل سعد ثلاثة في العد ، أهل وعد وعهد .

اهتز عرش الله لسعد ، ووجد ريح الجنة من دون أحــد سعد ، وقال في أحد " ارم فداك أبي وأمي يا سعد " .

فــالأول : ســعد بن معــاذ سـيد الأنصـار ، وقـدوة الأبرار ، الذي ألحق باليهود البوار .

والثــاني : ســعد بن الربيع ، المقــدام الشــجيع ، صاحب الموقف البديع .

والثالث : سعد بن أبي وقــاص ، كـان مـع النـبي من الخواص ، أخذ من الفُرس القصاص .

قتل عمر في المسجد بعد الفجر عندما غـدت الطيـور من وكورهـا ، لأن معلمـه يقـول " بـارك اللـه لأمـتي في بكورها "

من كـــان مبتهجـــاً

فليـــأت نســوتنا بوجه المقامَة

يجد القلــــــــوب

بالهم عند تبلج الأنــوارِ

وقتــل علي في المســجد قبــل الفجــر ، لأنــه وقت استغفار ، ونزول للغفار ، وجلسـة للأبـرار ، والرجـل يحب الأسحار .

يا ليتها إذ فـــــدت

فدت علياً بمن شــاءت

اســتحت خزاعــة ، أن تــرد الحــوض يــوم الشــفاعة ، مزجيّـة البضـاعة ، فقـدمت أحمـد بن نصـر ، الـذي قتلـه الواثق في القصر ، فدخل الجنة بعد العصر .

قال لـه الواثـق : وافـق . قـال : لا يـا منـافق . حـاول الواثق أن يجيبه ولو بإدغام فيه غنة فقـال لسـان الحـال : الخداع ليس من السنة ، فذبحه بعد أن اشتاق إلى الجنة .

اثنان تاجان عظيمان ، من قبيلة بني شـيبان ، جاهـدوا في سبيل الرحمن .

ابن حنبل والمثـنى ، وكـل منهمـا لدينـه تعنّى ، وللقـاء ربه تمنّى .

قدم المهـاجرون أربعـة خلفـاء ، فقـدم الأنصـار أربعـة قراء ، أهدت قـريش مصـعب بن عمـير ، فأهـدى الأنصـار ابن الحمام عمير .

تأخر أنس بن النضر عن بدر ، فجمع بين الغزوتين في جمع وقصر ، فقتل في أحد بعد الظهر .

لما عذر الله عثمان ، يـوم بيعـة الرضـوان ، علم اللـه صدقه فسعت إليه الشهادة إلى الديوان .

أبو بكر صـدَّيق ، والمخطوطـة لا تحتـاج إلى تحقيـق ، والرجل غنيٍ عن التوثيق ، فلم يقتل لأنه أخذ حكم الرفيق .

السلام على الشهداء ، فهم عند ربهم سعداء .

المقـامَـــــة الـزهـديَّــــــة

((كـن في الدنيـا كأنك غريب أو عابـر سـبيل))

أرى أشقياء الناس   على أنهم فيهـــــا
لا يســــــــأمونها   عـــــراة وجـــوّع
أراهــا وإن كــانت   سـحابة صـيف عن

قـــال ســـعيد بن أدهم ، ركبت الأدهم ، وذهبت إلى السـلطان أطلبـه في درهم ، فوضــع في رجلي الأدهم ، فمر بي الزاهد علي بن دينار ، وهو أحد الأبرار ، فقـال لي مالك يا سعيد ، أراك في الحديـد ، فقلت : واللـه الـولي ، ما سرقت يا علي .

قال : فما الشأن ؟

قلت : أتيت الســلطان ، أطلب الجــود والإحســان ، فوضعني في هذا الهوان .

فقال : أف عليك وتف ، ومن الـتراب اسـتف . تطلب السـلطان ، وتنسـى الـرحمن ، تسـأل البخيـل ، وتـترك الجليل ، تباً لك ، أفي قلبك شـك ، تـأتي من أغلـق بابـه ، وأسدل حجابه ، وحرم أصحابه . وتترك المعبود ، الذي ملأ العالم بالجود ، وأغدق على الخلق العطاء الممدود .

قلت : يـا علي غلطت غلطــة ، وسـقطت سـقطة ، وتورطت ورطة ، ووالله لئن فـرّج اللـه عـني ، وفـك هـذا القيد مني ، لا آتي بشـرا ، ولـو طلب مجيـئي بشـراء ، ولا أقصد الصعلوك ، بل أقصد ملـك الملـوك ، فلمـا أطلقـني من الحبس ، وعــادت إليّ النفس ، تــركت بــاب الأمــير ولزمت بيتي على خبز الشعير . فعاد لي لبي ، وجعل الله غناي في قلـبي ، فواللـه إني أرى المـترفين في حسـرة ، وإن ملـك كسـرى عنـدي مـا يسـاوي كسـرة . فأنـا بين المسجد والبيت أرضى بالقوت ، لا مـال يفـوت ، ولا ولـد يموت ، ليس عندي بنـز ، ولا كنـز ، ولا أرز ، ولكن عنــدي دين وعلم وعز ، فأنا أسـعد من كسـرى أنـو شـروان ، إذا حف به الخدم في الإيوان ، وأنعم عيشاً من النعمان ، فأنا

أسكن الكوخ ، وآكل العدس المطبوخ ، لا ألبس الجوخ ولا آكـــل الخـــبز المنفـــوخ . ليس عنـــدي دار ، ولا عقـــار ، ولا حمار ، ولا دينار .

أنام بلا هموم ، وأبيت بلا غموم ، لا أعرف عَدّ المـال ، ولا شد الجمال ، ولا مبايعة الرجال ، لا أعـرف الريـال من القــرش ، ولا أميّــز بين الكنب والفــرش ، معي قميص ، وبطن خميص ، لا أعرف الكبسة ولا الخـبيص ، مـا يـأتيني في النوم كوابيس ، ولا أشعر في النهار بالهواجيس .

فأنـا أسـعد من رأيت ، وأنعم من لقيت .معي كتـاب ، أغناني عن الأصحاب ، وسلاني عن الأحباب . معي ملحفـة للمنـام ، وجفنـة للطعـام ، وعصـا للقيـام . لا أخـاف على نفسي العين ، ولا يطلبني أحد بدين ، ولا أسـأل مـال هـذا من أين ؟

فأنا خفيف الظهر ، دائم البشر ، قليل الوزر ، مـا بعت ولا شـريت ، ولا اكتــريت ولا اقتـنيت ، لا أخشـى سـقوط بيت ، ولا ذهاب مَيْت. نجوت من الضغط والسـكر ، لأنـني في غير الآخرة لا أتفكـر ، في قلـبي عيـادة السـعادة وفي صــدري بنــك الســرور ، ومصــرف الحبــور ، وعنــدي علم وإيمان ونور على نور ، أعجب من الفجار والتجار ، وأقول ما هذا الشجار . أتقتتلون على جيفه ؟ ما تساوي قطيفة ، سحقا لعقولكم السخيفة .

أين كنوز قارون ؟ أين ما مضى من القــرون ؟ أين مـا جمعوا ، وأودعوا ، وشيدوا وأبدعوا ؟ لا قصور ، لا دور ، لا أنهـار ، لا أشـجار . ذهبت الأبــدان والأرواح . وبلي القفــل والمفتاح . فصدقني ما عاش عيشتي هارون الرشـيد ، ولا الكـاتب عبـد الحميـد ، ولا الــرئيس ابن العميـد ، نفســي والحمد لله رضية ، وعيشـتي هنيـة ، وقـد نجـوت من كـل بليـة ، فأنـا لا طـالب ، ولا مطلـوب ، ولا أخشـى من كنــز منهوب ، ولا من مـال مسـلوب . ولا أقـف على الأبـواب ، ولا أتمرغ على العتاب ، ومـا قبلت يـد كـذاب ، طمعـا في طعام وشراب ، وما قلت للكلب يا سيدي ، ويـا عضـدي ، ويا مؤيّدي :

واعلم بـــــــأن عليك من عضة الكلب لا

وأحيانــا أجلس أمــام كــوخي وســقفي الســحاب ، ومخـدتي صـبرة من الـتراب ، وجليسـي الكتـاب . فواللـه إنني أطيب عيشاً من الناصر في الزهراء ، وسيف الدولــة في حلب الشــهباء ، مــا اســتذلني متكــبر ، ولا مَنَّ علي متجبر ، ولا نهرني متهوّر :

أنا لا أرغب تقبيل يد قطعها أحسن من تلك القبل
إن جزتــــــــني عن صـــــنيعي كنت في رقها أو لا فيكفيـــني

ثم إن هناك مصلحة لي في هذا الزهد ، وهو الســلامة من الجهد ، يوم تنصب الموازين وتكشف الـبراهين ، فلن أقف طويلاً للقضاء ، كما يقف الأغنياء ، وكفاك بهذا حسنة ، لحـديث ((يـدخل فقـراء أمـتي الجنـة ، قبـل الأغنيـاء بخمسمائة سنة)) ، فياله من مكسـب رابح ، ومن مـيزان راجح ، وما عندي مال في البنوك الربويّة ، ولا مسـاهمات عقاريــة ، ولا شــركات اســتثمارية ، بــل عنــدي أغلى ، وأعلى ، لأن البر لا يبلى . فإذا كنـز الناس الدرهم والدينار ، كنـــزت الأذكــار ، وعمــل الأبــرار ، وأنــا أخــذت بُغْض الدرهم ، من إبـراهيم بن أدهم ، والزهـد في الـدينار ، من مالك بن دينار ، والورع عن العطاء ، من ابن أبي ربـاح بن عطاء ، وأخذت قلة الرغبة من الدنيا ، من ابن أبي الدنيا ، وقــد رأيت القبـور ، فـإذا المعظم بجـانب المحتقـر ، قـد اجتمـع بهـا المخـبر ، والخـبر ، وتغـيرت بهـا تلـك الصـور ، فالـمَلِك في جوار المملوك ، والغَنِيُّ في حفرة الصعلوك ، والقَوِيُّ مـع الضـعيف ، والوضـيع مـع الشـريف فبعـد هـذا المشـــهد ، أقســـمت أن أزهـــد ، فلـــزمت المصـــحف والمسجد ، أتعبد وأتهجد ، وعلى المقابر أتردد ، فعوضــني ربي بالهم سرورا ، وبالحزن حبورا ، وبظلمة الـدنيا نـورا ، وقد هيأت حنوطي وأكفاني ، وكفاني القليل كفاني .

وهــذا واللــه عين العقــل ، وموافقــة النقــل ، ونهج الصالحين من بعد ومن قبل ، فمال للقوم كأنهم في نوم ، صرعتهم الشهوات ، وزلـزلتهم الشـبهات ، أحبـوا الـتراب

والخــراب ، والثيــاب والشــراب ، وزهــدوا في الكتــاب والثـواب ، ونسـوا الحسـاب والعقـاب ، أنسـاهم القـرش النعش ، في التهـام وهـرش ، مـا تهـزهم الرقـائق ، ولا تردعهم الحقائق ، كلامهم في الأسـعار والعمـار والعقـار ، وحديثهم عن الدرهم والدينار ، ما يذكرون الجنة ولا النار .

الجلوس معهم يميت القلب ، ويضـاعف الـذنب ، لكن الأعمى لا يرى الصـباح ، والميت لا يحس بـالجراح . ولكن الصخر لا يسمع الكلام ، وما لجرح بميت إيلام .